النظرية الإخلاقية في القرآن

كتاب للعالمة الفاضلة

أم عباس حفظها الله

النظرية الأخلاقية في القرآن

كتاب للعالمة الفاضلة

أم عباس حفظها الله

إهداء

القيت هذه المحاضرات في مدينة الدمام على جمع النساء الفاضلات ،وما هي إلا تعريب (إن صح الاسم)لبعض المحاضرات التي ألقاها آية الله مصباح اليزدي مع بعض الإضافات التي خلتها تؤثر في البحث وحيث اعتذر من الشيخ المفدى بالروح حيث لم أراعي الدقة العلمية التي يتسم بها بدعوى ان المقام الذي القيت فيه وبشكل ارتجالي وعدم وجود المصدر والمرجع

وأرجو أن يكون هذا الجهد القليل لسيدتي ومولاتي الصديقة الزهراء عليها السلام

وإلى الله نشكو أنفسنا

أم عباس

النظرية الأخلاقية في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد:

صلاح النفس والارتفاع بها وحمايتها من مكائد الشيطان غاية كل مؤمن عاقل ،ولكي يصلح الإنسان نفسه لابد أن يعرفها أولاً ،يعرف مواطن القوة في هذه النفس ومواطن الضعف لكي يثمر عمله الثمرة التي يرجوها.

لذلك قمنا بكتابة هذه المجموعة من المحاضرات التي ألقتها الأخت الفاضلة العالمة أم عباس في جمع من النساء الفاضلات والتي تساعد على إلقاء الضوء والتعرف على بعض الحقائق المتعلقة بمعرفة النفس ،وإصلاح النفس ،وذلك بالتأمل والتدبر في آيات سورة الشمس ، حيث نسير في حديث قيم وجميل عبر آيات من كتاب الله الحكيم نعالج بها خفايا أنفسنا ونحاول أن نرمم قوانا ، والحقيقة أننا أثناء كتابتنا لهذه المحاضرات حاولنا أن نختصر منها ونركز على المباحث الأساسية المتعلقة بالنظرية الأخلاقية الاسلاميه وكنا نريد أن يكون الغالب على الكتاب الطبيعة العلمية العقلية والمنطقية ولكننا رأينا أن ذلك يسلب الكتاب اجمل ما فيه وهو مخاطبته للنفس وإيقاظه للضمير ، وكنا في أخذ ورد مع صاحبة الكتاب الأخت أم عباس في كيفية صياغة المحاضرات وقررت أن تحذف

الكثير مما جاء فيه ولكننا لم نستطع أن نفعل ذلك لما رأينا فيه من فائدة مرجوة ولاعتقادنا أن حذف هذه الأجزاء سيفقد الكتاب اللمسة الإنسانية الحميمة التي تخاطب الوجدان فعذرا من الأخت أم عباس وللقراء المتخصصين فهذا كتاب كُتِبَ لفئة معينة من الناس ، فئة تحتاج إلى قبس من نور ،إلى مكبر لصوت الحق الذي ينوس في داخلها لتسمعه فاستمعوا معنا فأننا نعتقد أنكم ستجدون في أنفسكم قبساً من هذا النور كما وجدناه في أنفسنا.

مركز الحوراء

المقدمـــــــة

بقلم : الدكتور عبدالهادي الفضلي

يصنف علم الأخلاق في عداد العلوم الإنسانية ، لأنه يدرس ضوابط السلوك الإنساني ، ويختلف عن كثير منها حيث يعتبر من العلوم المعيارية ، وذلك لأنه يتعامل مع القيم السلوكية للإنسان فيعطي الخلق والسلوك قيمته من حيث كونه فضيلة أو رذيلة .

والدعوة إلى الالتزام بفائضل الاخلاق والاجتناب عن رذائلها ، قديم قدم الأديان الالهية ، والحديث الشريف المروي عن نبينا محمد (ص) القائل : (**انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) صريح في أن الدعوة إلى مكارم الأخلاق كانت من أهم ظواهر الأديان الالهية .

وفي اجواء الدراسات الفلسفية اليونانية انبثق علم الأخلاق ، ذلك أن العلم يدرس ضوابط السلوك ، والأخلاق تعني السلوكيات نفسها .

وتنوعت الدراسات الاخلاقية في المنهج والهدف ، حيث اعتمدت الدراسات اليونانية والدراسات الاسلامية المتأثرة بها المنهج الفلسفي الخالص ، بينما تطورت الدراسات الحديثة إلى اعتماد المنهج العلمي .

وأقدم من بحث في علميات الأخلاق الفيلسوف اليوناني ارسطو (ت ٣٢٢ق.م) ووضع لذلك نظريته المعروفة في الاوساط العلمية (نظرية

الاوساط) وفحواها أن الفضيلة وسط (اعتدال) بين رذيلتين ، تمثل احدهما جانب الافراط ، والأخرى جانب التفريط .

وبقية الأخلاق تدرس على أساس من هذه النظرية حتى عند العلماء المسلمين ، كما في دراسات ابن مسكوية (ت ٤٢١هـ) الموسوعة (تهذيب الأخلاق) ودراسات النراقي (ت ١٢٠٩هـ) المسماة(جامع السعادات).

ولعل أول من اقترح وراد دراسة الاخلاق في ظلال هدي القرآن الكريم الدكتور محمد اقبال (ت ١٩٣٨ م) المفكر الاسلامي الباكستاني الشهير [1] ومن بعده كتب الدكتور محمد عبدا لله دراز (ت ١٣٧٧هـ) اطروحته للدكتوراه في أخلاق القرآن ، ونهج فيها المنهج العلمي .

ومن بعده ألف استاذنا الشيخ محمد أمين زين الدين (الأخلاق عند الإمام الصادق) واعتمد فيه حديث الإمام الصادق منطلقاً لمادة البحث ومزج في بحثه بين المنهج الفلسفي والمنهج العلمي .

وفي كل هذه الدراسات المتأخرة كان يركز على أن (الخير الأسمى) الذي هو الهدف من دراسة وتطبيق الأخلاق هو رضا ا لله تعالى .

والآن تطالعنا العائلة الفاضلة مؤلفة هذا الكتاب (النظرية الأخلاقية في القرآن) بهدف أخر للخلق الاسلامي هو القرب من ا لله تعالى .

والفرق -فيما أرى - بين رضا ا لله تعالى والقرب منه سبحانه ، هو أن الرضا يتحقق بمطلق الطاعة ، بينما القرب لا بد فيه من السمو الروحي الذي يرقى

[1] ينظر كتابنا (المسؤولية الخلقية في فكر محمد اقبال)

بالإنسان إلى مراتب عليا في معرفة الله تعالى ، أعلاها مرتبة التجلي التي تجعل الإنسان يرى الله متجلياً أمامه في كل شيء (لو كشف لي الغطاء ماازددت يقيناً) .

واعتبار الخير الأسمى هو القرب من الله تعالى اضافة جديدة في الدرس الأخلاقي ،وأن يكون هذا القرب هو النظرية الاخلاقية القرآنية منها تنطلق الاخلاقيات الاسلامية وإليها تعود ،أي هي المنطلق والهدف اكتشاف علمي موفق .

وساعد المؤلفة الكريمة على هذا انها سلكت في بحثها هذا منهجاً تكاملياً جمع بين المنهج العرفاني والمنهج الفلسفي ، وان كانت نسبة العرفان فيه أعلى .

والمنهج العرفاني – كما هو معروف –يعتمد استيحاء النصوص والتعامل مع ما توحي به .

وقد وفقت المؤلفة في استدرار معطيات النصوص القرآنية استدراراً اعنانها – وبوضوح – على ربط الفكرة بالواقع ، فاقتدرت أن تجمع بين البرهان والوجدان وبين المعطيات والواقعيات .

واني لأقدر لها هذه الالتفاتة العلمية إلى دراسة النظرية الأخلاقية في القرآن والنقلة التطورية في ما وصلت إليه من نتائج علمية مهمة .

وفقها الله تعالى إلى المسير في هذا الطريق المنير المفيد ، انه تعالى ولي التوفيق وهو الغاية .

تمهيد

علم الأخلاق علم يبحث في محاسن الأخلاق ومساوئها ويحتل هذا العلم مكانة مرموقة ،ومحلا رفيعا بين العلوم لشرف موضوعه وسمو غايته ،ونظامها ، فهو نظامها وواسطة عقدها ،ورمز فضائلها ومظهر جمالها ، إذا العلوم بأسرها منوطة بالخلق الكريم وتزدان بجماله وتحلو بآدابه فإن خلت منه غدت هزيلة شوهاء ،والأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة وتحيطه بهالة وضاءة من الكمال وشرف النفس والضمير وسمو العزة والكرامة ، كما تمسخه الأخلاق الذميمة وتحطه إلى سوى الهمج والوحوش .

حسن الخلق حالة نفسية تبعث على حسن معاشرة الناس ومجاملتهم بالبشاشة، وطيب القول ولطف المدارة كما عرّفه الإمام الصادق عليه السلام حين سُئل عن حده [تلين جناحك وتطيب كلامك ،وتلقى أخاك ببشر حسن] ١ وحسن الخلق من الأماني والآمال التي يطمح إليها كل عاقل وحصيف ولأحد الأشياء المهمة التي يحاول المؤمن أن يتصف بها في حياته تحقيقا لأوامر الله على لسان أنبياءه ، فكثيرة هي الأحاديث والروايات التي تدعو العبد المؤمن لتحسين خلقه ومنها قول الإمام الباقر (عليه السلام) :[إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا]

والقرآن الكريم كتاب الله وكتاب تربية وتعليم وهداية ، يُخرج الناس من الظلمات إلى النور ،كتاب يعالج كل الحالات التي يمكن أن تعرض للإنسان في سيره وسلوكه إلى الله فيأخذ بيده إلى بر الأمان ونحن نريد أن نتحدث عن النفس الإنسانية وكيف يوجه الإنسان نفسه باتجاه النور فلا يضل الطريق .

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفي خطبة استقبال شهر رمضان [من حسّن منكم في هذا الشهر خلقه كان جوازا له على الصراط]

لذلك فبحثنا سيكون في القواعد الكلية لنظرية الأخلاق الإسلامية :

أما قولنا البحث في القواعد الكلية وليس في الجزئيات لأن الأخلاق عادة إما أن تُتناول من جهة كونها ممارسات فمثلا نتحدث عن خُلق إسلامي مثل الصبر على الطاعات ،أو أحيانا تتناول من حيث كونها نظرية إسلامية أخلاقية .

نمر مرورا على رواية النبي صلى الله عليه وآله :[من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان جوازا له على الصراط] هل المقصود :أن من حسن خلقه يثيبه الله بالجواز على الصراط ؟ أو أن تحسين الخلق هو نفسه جواز على الصراط ؟؟ كلام النبي (ص) إرشاد وكشف عن مؤدى تحسين الأخلاق وليس وضع جزاء في مقابل تغيير الأخلاق وإصلاح حالها ، إي انه يريد أن يقوا :نفس تحسين الخلق هو جواز على الصراط ، لا أن من حسن خلقه أثابه الله بالجواز على الصراط.

١- الكافي في الكليني

نتحدث عن النفس الإنسانية وكيف يوجه الإنسان نفسه باتجاه النور فلا يضل الطريق.

ورد عن رسول الله (ص)وفي خطبة استقبال شهر رمضان (من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان جوازاً له على الصراط) لذلك فبحثنا سيكون في القواعد الكلية لنظرية الأخلاق الإسلامية :

أما قولنا البحث في القواعد الكلية وليس في الجزئيات لأن الأخلاق عادة إما تُتَناول من جهة كونها ممارسات فمثلاً نتحدث عن خلق إسلامي مثل الصبر على الطاعات ،أو أحيانا تتناول من حيث كونها نظرية أخلاقية إسلامية .

نمر مرورا على رواية النبي (ص) (من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازا على الصراط)هل المقصود أن :من حسن خلقه يثيبه الله بالجواز على الصراط ؟أو أن تحسين الخلق هو نفسه جواز على الصراط ؟

كلام النبي هنا إرشاد وكشف عن مؤدى تحسين الأخلاق وليس وضع جزاء في مقابل تغيير الأخلاق وإصلاح حالها، إي إنه يريد أن يقول : نفس تحسين الخلق هو جواز على الصراط ، لا أن من حسن خلقه أثابه الله بالجواز على الصراط .

طريقة البحث

عندما نقول : أن عندنا نظرية منطقية إسلامية للأخلاق ، فنحن ندعي أن هناك ترابط ما بين المقدم وما بعد المقدم والتالي والنتيجة ، وبهذا المعنى فالبحث سيكون متصلاً ببعضه فالدروس التي تطرح كل درس فهمه يتوقف على فهم الدرس الذي قبله ، ثم لن نطرح جزئيات المسائل الأخلاقية فمثلاً سوف ننتهي إلى نتيجة وهي أن أعلى مرتبة أخلاقية هي القرب من الله تعالى وسوف نفصل معنى القرب من الله تعالى مفهوماً.

كل حلقة من هذه الحلقات هي أرضية لفهم ما سيأتي بعدها ،وسيكون حديثنا عن الأخلاق الإسلامية الإلهية كنظرية لا من جهة ممارسات فإذا تحدثنا عن آيات أو روايات فيها إشارة لخلق إسلامي فليس المقصود من ذلك شرح ابعاد هذه الرواية بالذات وإنما هي بالتبع واستطراداً ونستفيد منها كشاهد.

الإخلاص ،الصدق ،الوفاء وغيرها من الأخلاق إما أن نبحث عنها جزء جزء أو نبحث عن اصل العمل من أين ينشاء وكيف يسري في النفس ؟ وهل له تأثير وجودي على واقع الإنسان ؟

العمل الصالح مطلقاً، كل عمل منه يعد خلقاً صالحاً وهذا يوصلنا إلى نتيجة فلو افترضنا مثلاً أن أعلى قيمة في الإسلام هي القرب من الله تعالى فهل هذا القرب منه تعالى يمكن أن يشعر به الإنسان تفصيلياً أم هو مفهوم غيبي مجمل غامض لا يحسه الإنسان، وهل أن له آثار وعلامات بالغور والتصفية يدركها الإنسان ويجدها في نفسه أم هي ثواب مسجل في كتب الغيب ولا ارتباط لها في واقع الإنسان ولا مماسة لها مع نفسه؟

وإذا انتهينا إلى انه مفهوم يمكن أن يدرك ويمكن أن يوصل فيه إلى نتيجة عندها يأتي سؤال هل كل منا بإمكانه أن يصل إلى مقام القرب من الله فيقيم معه تعالى علاقة واضحة يجدها في نفسه .

ثم سنتحدث عن الطريق إلى أيجاد مثل هذه العلاقة وافضل السبل وأول الخطوات التي تتخذ حتى يجد الإنسان أن لهذا القرب مفهوماً واضحا في نفسه

النظرية الأخلاقية وسورة الشمس

اجمع آية في القرآن تتحدث عن الشروط الموضوعية للأخلاق الإسلامية والتي فيها أهمية تزكية وتهذيب الأخلاق ومبادئ المسائل الأخلاقية هي آيات سورة الشمس ، ففيها كل الشروط التي لو اجتمعت لكونت نظرية إسلامية كاملة عن الأخلاق الإسلامية :

﴿ والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد افلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾

بدراسة هذه السورة الكريمة نلاحظ ما يلي :

١-في هذه السورة لماذا اقسم الله بالعديد من الظواهر الكونية ،وكل هذه الظواهر التي اقسم بها الله من أقسام المعرفة كالشمس ، القمر ، الليل ،النهار ،السماء ، الأرض ، كلها أسماء معرفة باستثناء مقسوم به واحد جاء بصيغة نكرة وهو النفس (ونفس وما سواها) ؟وعمدة الجواب أن ذلك إشارة إلى عظمة المقسم به وهي النفس .

٢-في هذه السورة المقسم عليه بعد ذكر كل هذه الظواهر الكونية هو أن الفلاح في تزكية النفس و أن الفساد الأبدي في دسها .و أن هذه الخيبة الخاذلة الأبدية التي لا تنتهي ليست خسارة مقطعية يمكن أن ترمم وليست خسارة زمنية مؤقتة ،وليست خسارة يمكن من جهة من الجهات أن تعوض .

٣-والقسم بكل هذه الظواهر الكونية بالشمس وضحاها وما تشرق عليه الأرض والسماء .ماذا تريد الايات أن تقول ؟من المحتمل ان الايات تريد أن

تقول : هناك من كل هذه الخلقة ثمرة ،وعصارة من كل هذه المقدمات هذه العصارة هي النفس الإنسانية فهي مدار البحث وغايته .

٤- مجيء القسم هنا بالمخلوق ثم بالخالق يمكن أن يكون منحصر في هذا المورد فقط وفيه إشارة إلى نهاية ارتباطها بالخالق ، وهذا النحو من الترتيب في القسم وختم القسم بالنفس والتي ذكرت نكرة لأن أصل البحث في النفس.

قاعدة كلية :

في القرآن قاعدة كلية وهي أن مادة القسم بنفسه دليل على صحة المقسم عليه ، ففي سورة النجم مثلاً ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى ﴾[٢] الآية تقول إن حركة النجم بنفسه فيها هداية للناس في حياتهم وأمور معيشتهم ،فالقسم بهذه الحركة للنجوم التي هي بذاتها هداية للناس﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ فالمقسم به هو هذه الحركة التي هي سبب الهداية والمقسم عليه أن رسول الله عاشركم وتعرفونه ما ضل وما غوى ، يريد أن يقسم أن حركة الرسول ليس فيها ضلال فيأتي بنفس حركة المقسم به دليل على صحة حركة المقسم عليه .

ودليل ثاني أوضح من هذا ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[٣] يقسم بعمر الرسول(ص) الذي ما صاحبته غفلة ولا صاحبه إعراض عن الله ، انظر إلى عمرك كم هو ملي، بمعرفة الله تعالى ، كم أنت مستغرق بالله قسماً بعمرك

---

[٢] النجم -١-٣

[٣] الحجر- ٧٢

إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، عندما تريد أن تبين للإنسان خطأ فاضح جداً تأتي بشيء تام حتى يظهر قبح هذا الخطأ ، وهذه سنة مطلقة في كل الأقسام القرآنية لأن القسم فيه دعوى ومدعى ،ونفس القسم هو دليل على صحة دعوى المقسم عليه .

إذاً هذه الأقسام لماذا لا نستشعر أهميتها في مقابل وجود النفس ؟

١.نحن لأننا اعتدنا أن نرى الشمس ونرى ضحاها ونرى القمر وغيره من الظواهر الكونية فاصبحنا لا نحس بعظمتها وقيمتها لأنها قريبة منا جداً ولكن إذا التفتنا إلى أن كل هذه الكائنات لها وجود واقعي تكويني أهلَ ذلك لأن تكون في النفس ثمرة كل هذه الموجودات، وهذا يلقي في ذهن المتعلم أن الأخلاق والنفس ليست شيئاً ثانوياً ،النفس والاهتمام بها وإصلاحها أهل لأن تُخلَقَ له كل هذه المخلوقات ، هذا أولاً .

٢-الشرط الموضوعي الثاني في الآية : ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ الآية تنسب الصلاح والتزكية لنفس المتزكي ، عادة في بحث وفلسفة الأخلاق يطرح مفهوم الاختيار .

ما هو مفهوم الاختيار ؟

هل الإنسان وليد مجتمعه ؟ وليد الظروف التي تحيط به وهل أنها تشكل هوية الفرد ألم أنه واقعاً لا يؤثر في نفسيته بشكل يبقى إلى اليوم الآخر إلا العمل الذي يقوم به باختياره و إرادته ؟ هل يحسب في عمل الإنسان مدى تأثره بمحيطه وتأثره بمن حوله ؟ وأثر الوراثة عليه ، أم أن كل هذا يحذف ولا يبقى للإنسان من العمل إلا المقدار الذي اختاره الإنسان ؟

أسئلة تحتاج إلى جواب ،وجوابها في الآية ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ لا قد افلح من تزكى، هناك فرق في المعنى بين الجملتين [قد افلح من تزكى] تتكلم عن نتيجة مثل أستاذ يخبر طلابه بنتائج امتحانهم فيقول لهم افلح من نجح ،ولكن عندما تريد أن تحرك النفس حتى تتزكى لا تقول لها الفلاح في التزكية ولكن تأخذ المتزكي بعين الاعتبار ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ ينسب الله تعالى التزكية للإنسان وليس للمجتمع ولا للظروف ولا للوراثة ،حتى إذا كان المجتمع يؤثر في الإنسان فليس للإنسان من العمل إلا الذي تحرك فيه باختياره وإرادته.

الدوافع الخارجية لا تؤدي إلى الجواز على الصراط أبداً ، ما يؤدي إلى الجواز على الصراط هو حسن الاختيار ، لأن حسن الاختيار كاشف عن سريرة حسنة على حد تعبير الأخلاقيين : الروايات التي تتحدث عن الطينة تريد أن تفهمنا أن في الإنسان طينة وكوامن حسنة أو سيئة ،فإذا احسن الاختيار بغض النظر عن الدوافع التي حوله اختار عن وعي وإدراك وحرية وتصميم له ، هذا الحسن المنسوب للإنسان ،هذا الثواب المنسوب للإنسان سوف يثبت عندنا الأثر التكويني الواقعي المنسوب للإنسان و الذي يأخذه الإنسان باختياره في الأبحاث القادمة .

أنت تزكي نفسك أم الله يزكيك ؟

هذه الآيات التي تنسب التزكية للمتزكي ليس هناك تناف بينها وقوله تعالى ﴿ بل الله يزكي من يشاء ﴾[٤] الآية الأولى تنسب التزكية للمتزكي والثانية تنسب التزكية لله وهذا بنفسه تعليم قرآني كبير جداً وحتى يبدو لنا هذا المعنى

---

[٤] سورة النساء-آية ٤٩

واضحاً نلاحظ أن القرآن يتدرج في تعليم المؤمنين من الأسهل إلى السهل إلى الصعب ثم إلى الأصعب ، فالروح لكي تدرك هذه المعاني يجب أن ترتفع فتتعالى ﴿ تعالوا إلى ما انزل الله وإلى الرسول ﴾[٥] تعالوا اصلها ارتفعوا ، إذا كنت تريد أن تعرف الرسول وتريد أن تعرف الدين أنت ارتفع .

بعض العلوم والمعارف الإلهية والأسرار لا تتكشف ولا تُعرف إلا بأن يرتفع نفس الإنسان ، لا أنها تنزل للإنسان ، الآيات التي تنسب التزكية للمتزكي لها هدف وهدفها أن تحرك المتزكي حتى يتزكى ، فمالم يكن الإنسان مختارا تغير نفسه وروحانيته وأخلاقه فعلم الأخلاق يُعد لغواً ،ولكن إذا تزكى المتزكي أعطاه الله نتيجة كبيرة ،يكشف له عن نظام العلة والمعلول الظاهري يعطيه الله سراً من أسراره يعطيه الله التوحيد العملي ،بأن هناك مؤثر بالاستقلال والذي في تأثيره لا يحتاج إلى مؤثر ، لا تحكمه هذه الروابط الظاهرية بين الأشياء .

ما لفرق بين الآيتين ؟

من هذه الآيات التي تتحدث بشكل واضح يظهر التسلسل في تعليم أعلى قيمة أخلاقية وهو التوحيد آيات الجهاد ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾[٦] تقدم السبيل مع انه مفعول به على الفاعل لا تقول فليجاهد الذين يؤمنون في سبيل الله ، تقول أولاً انظر للهدف لا تنظر لنفسك ، حاول أن

---

[٥] المائدة-١٠٤

[٦] النساء-٧٤

تنسى نفسك ، ثم إذا فكر الإنسان أن يجاهد تقول ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾[٧].

الأولى فيها تحضيض وترغيب أن ينسى الإنسان نفسه والثانية تنسب فعل الإنسان حينما ينسى نفسه لله ، قاتلوهم : انتم فقط آلة وأداة لتعذيبهم ، انتم مظهر فعل الله ، التعذيب من الله ، الله يعذبهم ولكن بأيديكم ،ولكن نلاحظ أن الإنسان إذا امتثل للأمر وقاتل ورجع (رجع المسلمون) {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾[٨] أصلاً الإنسان لم يعمل شيئاً ، تجُرد الإنسان وهذا في مرحلة عليا ، هذا سر والسر لا يكشف إلا لمن امتثل .

إذاً سنلاحظ تدرج الآيات في الكشف والتفهيم وتربية الإنسان وتعليمه وهذا ظاهر في أسلوب القرآن الكريم في تربية وتعليم نفس الإنسان ،فأنت لا تأتي إلى طالب في المرحلة الابتدائية وتعطيه نظرية صعبة وتطلب منه أن يفهمها ، كذلك من الخطاء أن نأتي ببعض الحقائق الكبيرة من عرفان وتوحيد وإلهيات ونجعلها مبتذلة ،هذه المسائل تدريجية ، أطع حتى يكشف الله تعالى لك السر ، هذه المعاني القيمة والراقية جداً لا نُنزلها إلينا ، بل نحن نصعد لها ، هذا سر والسر لا يكشف لكل أحد ، مثلاً عندما نتحدث عن آل البيت وانهم أنوار وعن فاطمة (ع) عندما خلقت من تفاحة الجنة، هذه المعاني متى يفهمها الإنسان؟

---

[٧] التوبة – ١٤

[٨] الأنفال – ١٧

إذا لم تكن هناك مناسبة بينه وبين هذه المعاني فكأنك تكلم طفلاً عن معاني كبيرة لا يفهم منها ألا الكلام ،علينا أولاً أن نمتثل ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله ﴾ وبعد ذلك ينكشف لنا سر كبير جداً .

ولكن ﴿الله قتلهم ﴾ هذا نوع من التوحيد أن ترى في كل عمل صالح حقيقة وهي أن الفاعل الحقيقي لهذا العمل هو الله تعالى ، لعل الإنسان عندما يلحظ نظام المسبب والسبب والعلة والمعلول يستطيع أن يدرك هذه المعاني ،من يستطيع أن يتحرك بدافع من الله تعالى يستطيع أن يرغب في التزكية أولاً ، وإذا تزكى سوف يرى فضل الله عليه في ذلك ، لأن كل عمل تحيطه آلاف الأسباب التي يمكن أن تسقط هذا العمل ، الذي يسوق الأسباب ويقودها و يدفعها هو الله تعالى .

وليس هذا فقط في آيات الجهاد ، فالآيات التي تنسب الهداية للرسول (ص) تأتي أيضا آيات أخرى تنفي الهداية عنه ﴿ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾[1].

من الذي يوجد الهداية الحقيقية ويجعلها تتسع في الروح ؟ منذا يخلق وجود الهداية ؟

وهذا ليس نفياً للتأثير الباطني لهداية الرسول وإنما نفي للهداية بالاستقلال حتى هذه الهدايات فيها هذا التعليم ، أنت ارتفع وتقدم خطوات حتى تدرك وتعرف لا أن تنزل العرفان والإلهيات ومعاجز آل البيت إلى التبذل ﴿ تعالوا إلى ما انزل الله والرسول ﴾ إذا ارتفعتم سوف ترون ، من يطع الله لا يعطيه الله

---

[1] القصص-٥٦

شيئا دنيويا أبداً ، بل يعطيه الله رأس مال كبير يفيده دائماً في الدنيا وفي البرزخ معه دائماً ،.

في الآيات التي تتحدث عن الإنفاق لاحظوا ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [10] ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ﴾ [11] الآيات كلها تتحدث عن الإنفاق ، فقط بيت القصيد تريد أن تقول :أنك إذا أعطيت الله مالاً الله لا يعطيك مالاً بل يعطيك الله حكمة الآيات تتحدث عن الإنفاق وتحض عليه وتتوسطها آية ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ﴾ .

ما هو الشيء الذي يحتاجه الإنسان كثيراً؟

هل يحتاج للمال الذي يأتي ويذهب أم إلى رأس مال إنساني دائم ؟

الذي يعطيه الله مالاً لا أن الله ينمي ماله لأن الآيات منذ البداية لا تقول : مثل إنفاق الذين ينفقون بل تقول ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة ﴾ أي الذات هي المنفقة ، هي التي تنمو وليس المال ، الذات مثلها كمثل حبة تنمو، لا مثل إنفاقهم، هذا المعنى غير صحيح بدليل أن منتصف الآية تتحدث عن رأس مال إنساني كبير يفيد الإنسان في كل مراحل وجوده ،لأن الآيات التي تتحدث عن الإنفاق تريد أن تقتلع تعلق الإنسان بالمادة والمال من الجذور ، وعندما تريد ذلك ليس من التعقل أن تقول أعطي الله مالاً والله يعطيك اكثر ، لأن هذا

---

[10] سورة البقرة-آية ٢٦١

[11] سورة البقرة-آية ٢٦٩

ينمي حبه للمال ،مرض الإنسان ليس في وجود المال عنده بل في تعلقه بهذا المال ،فإذا استطاعت الطاعة أن تقطع التعلق يعوض الله إنسانية المنفق بأن يقتلع منه كل جذور الفساد و يضع عوضاً عنها الحكمة في كل شيء في التصرف في الكلام في الشرب في الذهاب في كل تصرفاته وأفعاله هناك اتفاق .

من الذي يجعل عمل الإنسان متفق وواقعُ على نفس الأمر والواقع إلا الله تعالى وهذه كلها توفيقات إلهية ، وهذه التوفيقات أسرار إلهية وهذه الأسرار لا يكشف عنها إلا لمن يمتثل أولاً ويتحرك لذلك دائما النظرة القرآنية للإنسان بما هو إنسان، و تسعى لإصلاح الإنسان بما يفيد إنسانيته تكويناً ووجوداً وذاتاً محضاً .

لذلك تقول الآيات : ﴿ولكن البر من اتقى﴾[١٢] البر على حد تعبير أهل اللغة مفهوم ، والمفروض أن الآية تعرف البر فتقول أن البر أن تطيع الله وان تتخلق بالأخلاق الإسلامية ولكن الآية لا تقول هذا بل تقول ﴿ولكن البر من اتقى﴾ الذي يتقي هو الذي يكون بر ، لا تقوى المتقي بر ، ولكن البر هو الذات المتقية .

الآية لا تريد أن تعلمنا مفاهيم جافه وإنما تلقينا في الرغبة في العمل ، تقذف بالروح وتحركها حتى ترغب للعمل ،لا أن تقول للروح أعطي وأعطيك اكثر ، ليس هذا خطاب مع الروح والنفس هذا خطاب مع بنك ، أما الكلام مع الإنسان فيكون : أعطي مالاً أعطيك حكمة ، أعطي صلاة أعطيك عرفانا ،

---

[١٢] سورة البقرة-آية ١٨٩

جاهد في سبيل الله وسوف تفهم التوحيد العملي ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ [١٣].

ثمرة التزكية:

استنتجنا من آيات التزكية إنها تنسب التزكي للإنسان لأنها تريد أن تحركه ليتزكى وعندما يتحرك ويتزكى سوف تعطيه علماً وإدراكا يفيض ويزيد ما عنده من توحيد توحيداً أخر ، فإذا كانت درجة توحيده انه يرى أن الله محيط بهذا العالم فسوف يرى انه ليس هناك شيء حتى عمله الصالح كل شيء وجوده مفتقر إلى الله .

إذا رأى المتزكي أنه فقر لله وليس أن الفقر صفة من صفاته أو لازم له (لازم ذاتي أو عرضي) بل ﴿ يأيها الناس انتم الفقراء إلى الله ﴾ [١٤] كلمة {الفقراء} بدل من (انتم)، والبدل والمبدل ليس بينهما فرق، فالإنسان فقر، لا انتم فقراء إلى الله بل انتم الفقراء إلى الله ، كل إنسان إذا أردت أن ترفعه وتضع شيء غيره يصير فقراً ، يكون هو و الفقر إلى الله شيء واحد بتعبير الفلاسفة يرى نفسه معلول فقير محض لا يبقى للمتعلق ارتباط تعلق إلا بالقرب من علته ولا يرتاح ولا يستفيد ولا يستقر ولا يقر له قرار إلا بالقرب من اصل وجوده .

وسوف نذكر في البحث إن شاء الله كيف يرتبط الإنسان بأصل الوجود بالله تعالى برابط واضح عن وعي ، لا رابط غامض جداً، نعم نحن نشعر أن

---

[١٣] الأنفال-آية ١٧

[١٤] البقرة-آية ٢٧١

هناك علقة بيننا وبين الله ولكننا نرى هـــذه العلقة كنور ينوس في نفوسـنا ، وشعاع يختفي في أعماقنا .

قبول العمل الصالح

﴿ والشمس وضحاها *والقمر إذا تلاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها *قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾

أي عمل أخلاقي لكي يستحق الثواب يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط الموضوعية لكي يحسب في الإسلام ذو قيمة ويعطى الأجر عليه ، أحيانا نتكلم عن الأعمال والأخلاق بشكل جزئي فنقول مثلا الإحسان إلى عباد الله أمر محبب عنـــد الله سبحانه وله اجر وعليه ثواب ،والصلاة كذلك والطاعات ، ونصف كل عمل من هذه الأعمال بأنه عمل صالح ،والقرآن والروايات تقرر انه لا ينفع إلا العمل الصالح ، ولكن دعونا نسأل أي شيء هوالعمل الصالح ؟ اهو التصدق ، أم هو الأمر بالمعروف ، أم هو مساعدة المحتاج ؟ أم أن هناك قاعدة وكليات إذا اجتمعت هذه الكليات والشرائط حتى إذا كان العمل نظرة إلى وجـــه مؤمن ، أو رفع عثرة من طريق ، فإن هذا العمل يعدعملا صالحا وقد يحسب فيه الإنسان في عداد المجاهدين .

النظرية الأخلاقية في القرآن نظرية كلية ، نظرية لها مقدمات وشـــروط ،يشترط في العمل الاختيار والوعي والقربة لوجه الله ، أي عمل في الخارج سواء أكان إحسان ، صلاة ،زكاة ،أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، تصدق

أو زيارة مؤمن أو دعاء أو قراءة كتاب ...الخ أي عمل حتى ننسبه لله وحتى نربطه به تعالى ونقول إن الله يرضى عن هذا العمل و لكي يُحسب العمل الصالح للإنسان و يُعطى عليه اجر ويكون في سبيل الله لابد أن تتوفر فيه مجموعه من الشروط ، إذا أعطيت هذا الشروط للتلميذ يستطيع أن يطبقها على كل عمل يقوم به ،ولو كانت هذه الشروط موجودة في نفس الإنسان القائم بالعمل لما كان هناك داع لكي نقول له أن هذا العمل لك عليه ثواب .

القرآن يعطي التلميذ والمستمع قواعد والتلميذ يأخذها ويفصلها ويطبقها في الواقع ، لذلك نحن نتكلم عن الكليات الأخلاقية ،و اجمع آية تطرح المسائل الكلية لنظرية الأخلاق لا مسألة الأعمال هي مقدمة سورة الشمس ،﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة ﴾[١٥] الآية تتحدث عن الأعمال الصالحة وتذكر الصلاة كمصداق من مصاديق عمل الصالحات ، فالصالحات مفهوم كلي والصلاة أحد مصاديقه .

ما هي الشرائط الكلية التي تنطبق على كل الأعمال ؟

اجمع آية تتكلم عن هذه الشروط كما ذكرنا سابقا هي في سورة الشمس ، لماذا ؟

لأن سورة الشمس موضوعها هو النفس الإنسانية ، تأخذ النفس وترتب عليها، فأولا كل الظواهر الكونية عصارتها وثمرتها هي النفس ، أحوالها ،مستواها ، درجاتها وأخلاقها ، والأعمال الصادرة عن النفس هي مدار علم الأخلاق ، علم الأخلاق لا يبحث عن الإنسان بما هو إنسان موجود متى وجد ؟ ومتى

---

[١٥] سورة البقرة-٢٧٧

تكون ؟ بل تبحث عن الإنسان كموجود قابل للتكامل ، قابل لأن يغير نفسه ، قابل لأن يغير روحانيته ، قابل لأن يتقدم .

بحثنا يتمركز حول النفس الإنسانية لذا نلاحظ الترتيب في الآيات: الشمس وضحاها ،القمر والليل ، كل هذه الظواهر الكونية ثم القسم الأخير بالنفس وما سواها وذلك للانتقال للمقسوم عليه وهو ﴿ قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾يعني اقسم بالشمس والنهار والليل على النفس التي قد افلح من زكاها.

و للنفس ثلاثة مراحل:

١-إيجاد النفس:

وجود النفس ليس وجوداً دفعياً ، إنما هناك وجود أولاً ثم تسوية، التسوية في أي عمل هي انه : أولاً يوجد الشي، ثم يسوى ذلك الشي، يعنى هناك عناية خاصة بعد التسوية ،وجودغير دفعي وإنما وجود خلق وعناية واهتمام ﴿ الذي خلق فسوى ﴾الوجود الدفعي هو ما يوجده الله مرة واحدة مثل الجماد حيث ليس له كمالات يمكن أن يحصل عليها ،أما الإنسان فيبدو أن نفسه تمر بمراحل فبلوغها يكون تدريجيا إذا قسناه بالجمادات مثلا حيث تكاملها لا يقتضي هذ االنحو من التدرج ،وهذه المرحلة تمر بعناية دقيقة وخاصة جدا جدا وهي التسوية.

٢- التسوية: ﴿ الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى ﴾[١٦] أولاً يوجد الله النفس ثم بعد ذلك يسويها، والتسوية تعني تهيئة الأرضية للنفس حتى تتقبل الإلهام ،

---

[١٦] سورة الأعلى-٢،٣

الإلهام :

علم بخفاء مرموز في باطن النفس ، إذا تفتح ، إذا تفصل واتسع وتفتق في الإنسان يستطيع به الإنسان لا أن يعلو على الملائكة فقط بل بإمكانه أن يكون في السماء احمد ، و من معاني الإلهام أيضاً :انه علم يصاحبه خفاء وهو نوع من الإلقاء في الروع.

٣- الاختيار:

المرحلة الثالثة بعد الوجود والتسوية هي مرحلة الاختيار ، في بداية حياة الإنسان لا مجال للاختيار ،وهي مرحلة تكون الجنين ودخول الروح وتحديد الجنس ،ولكن بعد خروج الإنسان من مرحلة الجنين وبداية إدراكه لما حوله تبدأ مسؤليه الإنسان وتتشعب به الطرق وتتفتح أمامه مجالات الاختيار الذي هو عمدة الطرق وتشعبات الإنسان ﴿ قد افلح من زكاها *وقد خاب من دساها ﴾

ما هو الارتباط بين الإلهام والاختيار ؟

لم يرد في القرآن آية تتحدث عن الإلهام غير هذه الآية ﴿فالهمها فجورها وتقواها ﴾ الإلهام كلمة لها اكثر من معنى ، ولكن كل هذه المعاني تساعدنا على فهم الشرائط النظرية الموضوعية في النظرية الأخلاقية ، الإلهام أولاً علم يصاحبه خفاء ، نوع من الإلقاء في الروع بمعنى أن بعض الأشياء تلقى في روع الإنسان إلقاء فيه خفاء ،علم فيه معرفة ولكن هذه المعرفة خفيه .

الإلهام هل هو جعل النفس تميل إلى الفجور أو التقوى ؟أو انه أوجد في داخلها الميل لكلا الطريقين؟ أم هو إعطاء النفس قواعد وكليات تدرك به الفرق بين الفجور والتقوى؟

والمعرفة ،معرفة الفجور والتقوى ، ولكن ما معنى الفجور وما معنى التقوى ؟ ماذا يعني أن تتهيأ أرضية النفس حتى تتحمل إلهام الفجور و تتحمل التقوى ؟ قبل الهام الفجور والتقوى النفس ليست مستعدة للاختيار ، حتى تختار الهمها وعلمها وحتى تتهيأ للإلهام سواها لأن الاختيار يجب أن يكون عن وعي ومعرفة وعلم ،وهذا من اعجب ما في النفس قدرتها على تحمل النقيضين .

الإنسان والحيوانية :

عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن خلق الإنسان ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ثم أنشأناه خلقا أخر فتبارك الله احسن الخالقين ﴾[17] كل الموجودات في الكون تشارك الإنسان في بعض مراحل تكوينه كالحيوانات ، الحيوانات كانت مضغة ثم علقة ثم عظام ثم اكتست العظام لحماً، إلا أن هناك خلقاً أخر يستحق أن يقرن بقوله فتبارك الله احسن الخالقين .

عندما خلق الله السموات والأرض لم يستخدم هذا الاسم تبارك الله احسن الخالقين ،أي في نفس هذه المرحلة لا يقال إليهما ألا يا عجبا تبارك الله احسن الخالقين ،في المراحل الأولى كل الحيوانات تشارك الإنسان إلا انه هناك وجود في الإنسان وخاصية ويتميز ها الإنسان تقترن بقول{ فتبارك الله احسن الخالقين }[18] هذا خاص بالنفس الإنسانية وهذه الخاصية هي قابلية تلقي الإلهام .

فما هو الإلهام؟

---

[17] سورة المؤمنون-١٤

[18] سورة المؤمنون-آية ١٤

الإنسان وان لم يكن يعرف على وجه الدقة العمل الذي يقوم به أهو فجور أم تقوى في داخله صوت خفي يشعره إذا كان عمله فجوراً أو تقوى ، حتى لو حاول أن يبرر لنفسه أو يتساهل معها ،هذا الصوت هو الضمير صوت من صوت الحق ، حقيقة أن هذا الصوت غير واضح جداًولكن قد لا يستطيع الإنسان معرفة عمل الآخرين ويمكن أن يحمل أعمالهم على حسن الظن وعدم القصد ولكن كل إنسان في داخله يعرف ما هية عمله ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾[١٩] حتى إذا لم يستمع إلى تعاليم الأنبياء فهو يدرك أن الإساءة عمل غير صالح ،لأنه عندما يسيء، يشعر أن هناك انقباضا في داخله ، يشعر أن هناك انطواء عدم ارتياح في داخل نفسه ، انه ملهم من قبل الله سبحانه وتعالى بمعرفة الفجور والتقوى﴿ ألهمها فجورها ﴾ لا فجور الآخرين.

هذا الإلهام المخفي يتفتح بالتربية وإتباع علوم الأنبياء فيصبح وعياً وإدراكاً يلازم الإنسان فيدرك به جميع أحواله ،يعرف من هو وأين هو وبأي مرحلة هو كما قال الأمير (ع) :فلينظر ناظر اسائر هو أم راجع ؛ يريد (ع) أن يقول أن هناك صراط ، هناك أخلاق ، هناك مقدمات ، هناك سير ، على الإنسان أن يرى واقعاً هل هو يمشي أو يرجع للوراء ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾[٢٠] هذه لا تقصد انقلبتم على أعقابكم كلاماً بل واقعاً هؤلاء يمشون للخلف لذلك إذاعمل الإنسان عملاً فهو يستطيع أن يعرف

---

[١٩] القيامة -آية ١٤

[٢٠] سورة المؤمنون - ٧٤

هـــل جذبه عمله هذا باتجاه الله أم أرجعه القهقرى ،وهذا المعنى موجود بشكل كلي مثل البديهيات العقلية .

الإلهام يكون في الروح ،أما إدراك البديهيات فيكون في العقل ،مثل أن الكل اكبر من الجزء وان لكل نتيجة مجموعة من المقدمات هذه تسمى بديهيات عقلية إذا التفت لها الإنسان وتعلمها ودقق فيها فسوف تكون مفصلة وتتفتح و عندما تتفتح سوف يعرف الإنسان كل عمل يقوم به حتى لو كان نظرة إلى وجه مؤمن ، حتى إذا قدم رجلاً أو أخرها سوف يعرف هذه الحركة ما هي ، في الراويات حتى حركة الأصابع وحركة اليدين يستطيع الإنسان مفصلاً أن يرى فيها علاقته مع الله تفتحت ، وإذا تفتحت تفتقت هذه المعرفة.

وجدت قولاً لطيفاً للشهيد السيد الصدر يثبت انه من الممكن أن تتفتح مثل هذه المسائل يقول بما معناه :[أليس هناك بعض الغرائز موجودة في الإنسان والتي تحتاج إلى سن معين لتتفتح كغريزة الجنس التي تتفتح في سن المراهقة ،هذه الغرائز لا إنها لم تكن موجودة وإذا اصبح الإنسان في هذه السن تلقى فيه بل هي موجودة في داخله ولكنها تحتاج إلى عمر زمني تتفتح فيه]،وكذلك هناك غرائز تحتاج إلى عمر وعيي وتربوي ، تحتاج لعمر تعليمي ، العمر الذي تحتاجه لا يعني تطاول الزمان فهناك من عمره ٢٥ عاما لكن أخلاقه الإسلامية لشخص عمره سنتان وبعض الناس عمره ستون عاما وعمره الإيماني لا يتجاوز ٤ سنوات ، لذا نلاحظ معجزة النبي عيسى (ع) لذلك الآيات دقيقة تقول :﴿يكلم الناس في المهد وكهلاً﴾ [٢١] هل معناه انه يتكلم وهو كهل ويتكلم وهو طفل ؟ ليس هذا معنى الآية وإلا فأين الإعجاز ؟

---

[٢١] سورة آل عمران -آية ٤٦

فالإعجاز ليس في كلامه (ع) فقط وهو طفل رضيع يتكلم كما يتكلم الأطفال العاديين ،إنما في مضمون كلامه فهو يتكلم وهو طفل ككهل قطع عمره في معرفة الله سبحانه ، يتكلم وكأن عمره الإيماني اكثر من عمره الطفو لي ، لا انه وهو في المهد يتكلم كلام أطفال في المهد، بل وجوده الإيماني أعمق وأطول واكثر بكثير من عمره الطبيعي ،لذلك يتكلم كما يتكلم الكهول الربانيون العارفون.

﴿فأشارت إليه﴾[٢٢] إشارتها إليه جعلته ينطق ، ليس أنها أشارت إليه بمعنى كلموه ، لأن الإشارة أمر من الله تعالى ، إشارتها له هو استنطاقه ، مريم التي قضت هذا العمر في طاعة الله ، هذا العمر في التبتل لله إشارتها حركة عارف ، كما تحركت سفينة نوح (ع) بسم الله إشارة مريم لعيسى (ع)كأنها قالت لعيسى (ع) تكلم (كن) انطق ، الإذن التكويني بالنطق ، تكويناً جعلته ينطق ، بنفس كيفية انه عندما يمسح عيسى على ألاكمه يُبصر وكيف إنه عندما يأخذ من الطين كهيئة الطير يطير ، كذلك مريم بحركة يديها جعلت عيسى (ع) ينطق كعالم رباني وهو طفل .

حينما يقارن كل منا أعماله وأفكاره وحركاته وطموحه مع عالم رباني يرى الآخرة أمام عينيه ، يرى أن هذه الدنيا فانية، يرى أن الماديات ليس لها قيمة ولكن من منا عمره الإيماني في مستوى عمره الطبيعي ،كم فردا منا إلى الآن لم يتقن صلاته ولم يحصل على التوجه ، كم سنة والبعض منا يحاول أن يتخلق بالأخلاق الفاضلة وإلى الآن وهو يسيء للمؤمنين فيغتاب ولا يمسك لسانه ولا يضبط نفسه ، أين عمرنا الطبيعي أمام العمر الإيماني؟

---

[٢٢] سورة مريم-آية ٢٩

تعاليم الأنبياء تؤدي لأن يتناسق العمر الطبيعي للإنسان مع عمر ه الإيماني ، فهي تفتح هذا النوع من الإلهام ، التسوية هيأت أرضية النفس حتى تتلقى هذا الإلهام وتتحمله ، هذا الإلهام يمكن أن يتحمل الآية المباركة { تبارك الله احسن الخالقين } هذا الإلهام هو علة القدرة على الاختيار، وكلما كان الإنسان اكثر وعياً كان هذا الشعور الإلهامي متفتح فيه اكثر ، كلما كان عنده القدرة على حسن الاختيار.

وهناك معان أخرى للإلهام منها:

أن الله جعل في فطرة الإنسان معرفة الفجور والتقوى كما أن عقل الإنسان إذا وصل إلى مرحلة يدرك البديهيات بشكل تلقائي لا يحتاج إلى تعليم ويمكن أن نعبر عن ذلك بالإلهام ،كذلك بالنسبة إلى الخير والشر الأخلاقي فالإنسان يعرف أصول الخير والشر الأخلاقي فطرياً ، قد يكون هناك تزاحم في بعض الموارد في العناوين ، أوأمور مشتبهة تحتاج إلى معونة من مكان أخر ، معلم أو مرشد أو دليل ، لا تحل بمجرد الإلهام ، ولكن الأصول الأخلاقية واضحة بديهية ، هذا أحد المباني في معرفة الخير والشر على بعض المسائل الفلسفية ليستطيع الإنسان بالتأمل في نفسه أن يعرف الخير والشر .

المعنى الثاني المحتمل للإلهام :

أن الإلهام اعم من معرفة الإنسان بنفسه أو عن طريق الوحي ، ليس الإلهام هو معرفة البديهيات الأخلاقية عن طريق التأمل في النفس فقط وإنما حتى تعليم الوحي عن طريق الأنبياء يسمى إلهاما وينسب إلى الله .

المعنى الثالث المحتمل للإلهام :

أن الهام الفجور والتقوى هو أيجاد الميل إلى طريقي الفجور والتقوى حتى تخرج إلى الفعلية ، لابد أن هناك طريق في الخارج لتسلكها ، ولو لم يكن للإنسان إلا طريق واحد لما كان عمله إنسانياً لكان إما ملاكاً أو شيطاناً ، إنما النفس الإنسانية لها اكثر من ميل وعلى هذا تحل مسألة أخرى من مسائل علم الأخلاق لأنهم اختلفوا هل أن الإنسان يميل أساسا للخير والشر جانب غير أصيل في الإنسان وإنما اثر عوامل خارجية وضغوطات خارج فطرته يعمل الشر ؟أو انه مفطور على الشر أيضا ودعوة الأنبياء هي التي تهذبه ؟

فإذا اعتمدنا الرأي الثالث والأخير يكون معنى الآية الهمها نفس الفجور والتقوى وليس معرفة الفجور والتقوى ، في الإنسان كلا الميلين وليس أحدهما أصيل والأخر عرضي ، وبالقدر الذي يقاوم الإنسان الشر فله جزاء واجر .

فهناك تناسب بين عطايا الله وعمل الإنسان ، وبناء على هذا الرأي فالإنسان مودع كلا الميلين والتربية والتعليم تقوى أحدهما ولكن ليس إلى حد سلب الاختيار وليس إلى حد العلة التامة .

بالطبع ليس معنى ذلك أن ميل كل الناس في حد واحد ، ولكن الأجر بقدر المشقة والاحتمال قد يكون الإنسان شكس الطباع ،عنيفا ،صعب الانقياد ،حرون النفس ولكن اجره اكثر إذا تزكى .

وكذلك ليس للمحيط أثر في هذا الميل فامرأة فرعون كانت في بيت مليء بالشر والشرك ومع ذلك قالت ﴿ رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ﴾[٢٣] فالإنسان ليس

---

[٢٣] سورة التحريم - ١١

وليد المحيط الذي نشاء فيه وإرادة الإنسان فعالة وليست انفعالية خاضعة لغيرها ، الإرادة فعل النفس ليست شوقا انفعاليا للنفس .

لذا يقول الفلاسفة في حقيقة الإرادة وارتباطها بالنفس : أن النفس بالنسبة للإرادة فاعل بالتجلي وليس منفعلا بصورة كيف نفساني ينشأ فيه شوق و إرادة .

وهنا تصل إلى نتيجة :

لا يكون هناك اختيار إلا إذا تعددت الخيارات، فالإنسان الذي ليس له إلا مجال واحد لا يقال عنه مختار ،المختار هو الذي عنده عشرات الخيارات فيختار واحداً منها، وهنا مسألة دقيقة وهي انه كلما كان أفق الإنسان أعلى وأوسع كلما كانت دائرة خيارته أوسع، وكلما كانت خيارته اكثر كلما كانت حيرته في الاختيار اكثر ونتيجة لذلك ازدادت حجته للأنبياء والمعلمين اكثر.

الإنسان كلما كان يرى أن هذه الدنيا ماهيتها ماهية مقدماتها ، أي ليس فيها نتائج ، وإذا كان فيها نتيجة منتجة وهي العمل الصالح فهو أيضا لا نحصل على ثمرته في الدنيا ، الدنيا زهرة لا ثمر فيها إنما فيها جمال ورائحة ،والثمرة والإثمار يكون في الآخرة ،والدنيا مقدمة لغيرها على حد تعبير الفلاسفة : هي لغيرها بالأصالة ، والأصالة والذات مقدمة وأنت تريد من هذه المقدمة أن تعطيك نتائج ،الدنيا أرضية ومقدمات لغيرها ولا تحصل على نتائجها إلا في اليوم الآخر فلنفترض أن أمامنا شخصان أحدهما يؤمن بالبعث والحساب والأخر لا يؤمن بذلك إنما يرى أن نتائج أعماله في هذه الدنيا لذلك فخياراته محدودة نتيجة لوعيه المحدود ، ولكننا نرى أن الإنسان المؤمن بالآخرة يؤمن بمستقبل بعيد فنتيجة لذلك تتعدد خيارته ، يرى أن بإمكانه أن

يصبح عالما ربانيا مثلا فيخدم القرآن أو أن يقاوم الطغاة ويعمل لينشر الإسلام ...كثرت خياراته وكلما كثرت خياراته تعددت شرائط الخيارات، وكلما كثرت شرائط هذه الخيارات كثر تنوع ميل النفس لهذه الخيارات .

لقد أودع الله فينا العديد من الميولات الداخلية ولكن لأننا تعودنا أن تدور خيارتنا في دائرة ضيقة لا نتوجه إلى ميولاتنا الداخلية ، وبالرغم من أننا قد تعلمنا أن نلاحظ بعض ميولاتنا الداخلية كالشعور بالجوع والتعب والحزن ، إلا أن لدينا بعض الدرجات الروحية التي نميل إليها بشدة ولا نستطيع الوصول إليها ، لأن صوت الإلهام الذي ينوس في داخلنا تغطيه الأصوات الأخرى المنبعثة من داخل النفس، في داخل كل منا غوغاء ، كثير من الميولات تدعو إلى نفسها في وقت واحد، خيارات عديدة أنت بين سبيلين أن تعملها أو لا تعملها ماذا تقدم منها وماذا تؤخر ؟ ما الذي يؤثر فيك منها اكثر من غيره ؟

فإذا استطاع الإنسان أن يسمع هذه الأصوات فهو مع ذلك لا يستطيع أن يأخذ بيد نفسه إنما يحتاج إلى نبي يأخذ بيده لكثرتها وتشعبها ودقتها، لذا لسان كل الأنبياء عندما يأتون للناس ماذا يقولون لهم ؟يقولون : ﴿ أن أدوا إلي عباد الله ﴾[٢٤] ما هي أمانة الأنبياء عند الناس حتى يطلب النبي الناس ويقول : أعطوني أمانتي يا عباد الله ؟

يبدو أن هذه الأرواح ليست ملكاً للناس ،الأرواح لا يستطيع أن يقودها إلا الأنبياء ،أيها الناس أرواحكم ليست لكم أعطاكم الله إياها أمانة حتى تعرفونا

---

[٢٤] سورة الدخان -آية ١٨

وتعونا وتدر كوننا ،عندما ندرك عالماً ربانيا أو نبي بعد ذلك ليس لك إلا ﴿ أن أدّوا إلي عباد الله ﴾ إذا أدركت النبي أصبحت الروح ملكه .

وبعض الأنبياء يقول : ﴿ وأنا لكم ناصح أمين ﴾ [٢٥] لماذا النصح مع الأمانة ؟ الظاهر أن الإنسان حتى لو كان صادقا مع نفسه وخليّ بينه وشأنه وأعطيت روحه في الداخل عدة خيارات من الممكن أن تضيع نفسه قبل أن تصل إلى خيارها ، فتتمزق وتتشتت وتتبعثر فقط في أثناء الاختيار فضلاً عن سلوك بقية الطريق .

هذا دليل عقائدي ، وهناك دليل روائي وعقلي على انه كلما كان الإنسان واعياً اكثر ومجداً عالي الهمة يخاف من الله كلما كانت خياراته وتشخيصه لصعب واو سع ، لذلك يحتاط المؤمنون ويفكرون قبل أن يعملوا لذلك [المؤمن لسانه وراء قلبه] لأنه لا يقدر أن يفعل شيئا إلا بعد التدقيق فيه ، وكلما صعب التشخيص كثر الاحتياط، فكل منا يواجه يوميا العديد من الخيارات بعد انتهاءه من الصلاة مثلاً فيمكن أن يقرا ،ويمكن أن يخرج ،ويمكن أن يشاهد التلفزيون وغيرها من الخيارات ولكن أي من هذه الخيارات يناسب النفس ١٠٠٪ ؟؟ .

---

[٢٥] سورة الأعراف –٦٨

الرسول (ص) والمؤمنون

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾[٢٦]

١- حاجة النفس إلى معلم :

عندما خلق الله الإنسان وطلب منه أن يتقرب منه ويصل إليه بجد وحقيقة وإرادة فعلية، لذلك وضع له طريقاً يوصله لهذه الغاية ولكن هذا الطريق ليس مفصلاً واضحا لكل الناس إنما جعل الإنسان ملهماً إلهاماً فطرياً شعاعياً خفيفاً لا طبيعياً، هناك فرق بين الفطرة والطبيعة سوف نتحدث عنه فيما بعد ،الإنسان يجد أولاً في داخله فهم الكليات والسير إلى الله سبحانه يكون المرتبة الثانية .

٢- العدالة الاجتماعية :

التي تكفل حقوق الناس تحتاج إلى معرفة تفصيلية وهذه المعرفة لا يعرفها إلا الأنبياء الذين يتلقون العلم من لدن الله الحكيم العليم ،لأن العلم إذا كان من لدن الله ليس فيه اشتباهات وليس فيه شكوك وليس فيه إضافات من نفس الإنسان لذا الأنبياء ،وبما أن الله يريد من العبد أن يصل إليه فلا بد أن يدله على الطريق ويفصله له، فإذا لم يدله عليه يكون مثله مثل أن تطلب من شخص أن

---

[٢٦] سورة آل عمران - ١٦٤

يزورك في بيتك وتلح عليه في ذلك وتعبر له عن غضبك وزعلك منه إذا لم يزرك ثم بعد ذلك لا تعطيه عنوانك ليتمكن من زيارتك .

عدم إعطائك العنوان مخالف للحكمة ، الحكيم العاقل الذي يريد إرادة جدية وحقيقية إذا لم تأتي يدخلك نار جهنم أ الذي يريد هذه الإرادة ليس من الكمال أن لا يفصل الطريق ولا يعطي العنوان ،فإعطاء العنوان دليل على وجوب بعثة الأنبياء من قبل الله للناس.

٣-الحاجة إلى المربي:

وهناك دليل أخر هو حاجة الناس إلى المربي مع المعلم ،وهناك فرق بينهما فالمعلم يعطي علوماً ومعارف ومفاهيم كلية ،والمربي يأخذ بيدك ويساعدك على فهم المصاديق (الإحسان ، الصلاة....الخ)على افضل صورة ،المعلم يعطي صورة ذهنية أما المربي فيأخذ بيدك ويقول لك قم بهذا العمل ولا تقم بذاك ، يضع يدك على المصاديق ويصل بك إلى بر الأمان، لأننا في الواقع لدينا الكثير من المفاهيم الصحيحة المتقنة في أذهاننا ولكننا إذا أردنا الدخول في العمل لا نعرف المصداق الواقعي الاتم له .

من هنا نرى تدخل الأئمة (ع) في أدق خصوصيات أصحابهم ،فالإمام يقول لصاحبه تزوج هذه ،طلق هذه ، اشتر هذا ، بع ذاك ، وضع اليد على المصاديق (التشخيص)من أكبر المشاكل التي يواجهها الإنسان ، سيما إذا كانت نتيجة هذه الأعمال ما هوية هذه الدنيا على حد تعبير الفلاسفة ما هوية مقدمية بمعنى أن الدنيا ليس فيها نتائج النتائج في ذلك العالم ،فوظيفة الأنبياء:

١.التعليم ٢.التربية

الخيارات كثيرة كل عمل تحوطه عشرات الخيارات ، نحن لسنا بحاجة فقط لمن يخبرنا أن الأعمال الحسنة والصالحة تدخلنا الجنة نحن بحاجة ملحة إلى أن يقوم شخصٌ ما بالتشخيص ، فيقول لنا اليوم اعمل هذا العمل لأنه يناسبك ، هذا التشخيص تربية لذلك إذا كان صوت الحق موجوداً في داخلنا فنحن بحاجة إلى صوت للحق اعمق واكثر تفصيلا ومعرفة لهذا الصوت الذي في الداخل ،وهو المربي الذي يحرك الصوت الكامن في نفوسنا ، من هنا نرى حاجة المؤمن إلى التزكية بقدر حاجته إلى التعليم بل قد يحتاج للتزكية اكثر من حاجته للمزيد من المعارف والعلوم .

التزكية هي الأخذ باليد إلى ألا صلح ، هي وضع اليد على الأفضل ،لذلك يعبر الله في الآية الأولى عن المؤمنين بأن ﴿ لقد من الله ﴾ والمن يكون على النعمة الثقيلة جداً بحيث لا يستطيع الإنسان مهما عمل أن يحمد هذه النعمة الثقيلة ، لا انه تعالى لم يمن على الذين لم يؤمنوا ، كلهم من عليهم ، ولكن هذه قاعدة كلية ، للقرآن طريقة خاصة إذ انه يعرف أن غير المؤمنين لن يمتثل لأوامره لذلك لا يوجه الخطاب إلا لمن يمتثل وإن كان من الواجب أن يلتزم بهذه المسألة الجميع من يمتثل ومن لا يمتثل ،فالصلاة مثلاً يخاطب الله المؤمن والكافر أنه إذا دخل وقت الصلاة فعلى الجميع أن يصلي ولكن الله يجعلها كتاباً موقوتاً على الذين أمنوا لأن الذي سوف يمتثل هم المؤمنون فقط.

كذلك التربية النبوية غير المؤمن لا يلتفت إلى أن التربية واجبة عليه ، فهو غير محتاج إلى التزكية لأنه أصلاً لم يدرك هذه العلوم ولم يصل إليها، ولكن إذا كان العبد مؤمنا بوجود الله تعالى فهو يحتاج إلى أن يتفصل هذا الإيمان في نفسه ، أن يتجاوب عمله وإيمانه والتجاوب بين العمل والإيمان هو التزكية

لذا يحتاج إلى صوت من خارج نفسه ويكون من نفسه لذا يقول لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ، ليس منهم ﴿ من أنفسهم ﴾ هنا الإعجاز يقول لهم انظروا إلى المجتمع الفاسد الذي تعيشون فيه والذي فساده منكم من نفس هذا المجتمع يظهر هذا الرسول هاديا من داخل هذا الضلال .

﴿ من أنفسهم ﴾ لأن المؤمنين يحتاجون إلى سماع صوت لا يشوبه حثالات أو دس وفجور ، صوت شخص يُسمعهم صوت الحق الذي في أنفسهم، عندما يسمعونه و يسمعون كلامه يسمعون كلام الله ،هذا الصوت الذي في نفوسنا تجامعه آلاف الأصوات ، الأهواء ، التربية الاجتماعية الغير صحيحة ، المجتمع أصوات كثيرة، منها صوت الحق الذي ينوس ضعيفاً داخل نفسه يحيطه هذا الكم الهائل من الأصوات والضوضاء تشوش عليه فيحتاج إلى مثال حق من الخارج مثال لم يشبه أي اختلاط مثال محكم يرفع هذا الصوت.

قد يأتي شخص للرسول (ص) فيسأله سؤالا ويأتيه شخص أخر فيسأله نفس السؤال ، وتكون إجابة الرسول على السؤال مختلفة بحسب السائل ، فمثلا يسأله رجل ما هو البر فيقول له الرسول (ص) : البر أن لا تكذب) لأنه يعرف أن نقطة ضعف هذا الرجل في الكذب ، ويجيب أخر على نفس السؤال :أن البر أن تتعاطف مع أهل بيتك ، لأن هذا السائل صاحب غلظة مع أهله، معرفة نقطة الضعف ومعالجتها تربية .

لذلك نحن نخاطب آل البيت ونقول [روحكم في الأرواح ونفوسكم في النفوس ،أثاركم في الآثار] أي روح روح الإنسان ، نفس نفس الإنسان هو، ومعنى

آية ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾[٢٧] ليست الولاية السياسية بأن رسول الله يلي من أنفسهم ما يلون ، معناها أيها الإنسان هل رأيت كم روحك قريبة منك وكم الله اقرب إليك من حبل الوريد ،فرسول الله اقرب لروحك من روحك ،إذا أراد ت أيها الإنسان أن تعرف ماذا تريد روحك أعرف رسول الله (ص) ، إذا أردت أن تعرف خير خيار تختار من بين آلاف الخيارات تعلق برسول الله ، وليكن بينك وبين رسول الله صلة هذا شيء.

والشي، الأخر عندما يعبر الله عن الزكاة يعبر تعبيراً لطيفاً حتى يبين عمل رسول الله وأثره على الناس فيقول تعالى﴿ خُذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[٢٨] خذ : فيها فعل أمر ، والفقهاء يستدلون بها على انه يجب على رسول الله أن يأخذ لا على صاحب الزكاة أن يعطيها الرسول ، فعل رسول الله عندما يأخذ الزكاة من المؤمنين فعل تطهير وتزكية لنفوس المؤمنين لا لأموالهم الآية تقول { تطهرهم } تطهر ذاتهم ، هذا الذي يأخذك للحكم الشرعي ثم بأخذه وجلبه للحكم الشرعي هو تزكية لك ، في داخلك إلهام من شخصك ، ولكن هذا الإلهام ضعيف يحتاج إلى شخص أخر إذا تكلم ، إذا قرأ القرآن إذا تحدث عن الدين ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾[٢٩] يسمعه كلام الله .

---

[٢٧] سورة الأحزاب-٦

[٢٨] سورة التوبة-١٠٣

[٢٩] سورة التوبة-٦

اثر سماع القرآن في النفس :

هل كل من يقرأ القرآن يُسْمعُ الطرف الأخر كلام الله ؟ أنت إذا فعلت ذلك تكون قارئ لكلام الله ،أما قراءة النبي للقرآن عندما يسمعها الآخرين ففيها إعجاز لأنه يطابق حال السامع :

١-إذا كان هناك لسان يأخذ من كل الجهات ، حيثيات حالك ، كلامه مطابق لمقتضى الحال ، مثلما أن في القرآن إعجاز يطابق مقتضى الأحوال التي يمر بها الإنسان ،فالرسول كذلك يعرف كيف يختار الآيات التي تناسب حال السامع .

٢-ثم يقول الله مخاطباً نبيه بان يجير كل من استجاره ليسمعه كلام الله المناسب لحاله ،حيث ليس المراد من كلام الله تلاوة القرآن فقط ولكن كلام الله دين ومنطق الله لا ذلك الذي يأتي وبه مرض أخلاقي وتسمعه أنت آيات تعالج مشكلة اقتصادية مثلاً ، أو تعالج الجهل والسفه وتعصب الرأي بمسألة علمية ، الرسول فقط يعرف شخصية الماثل أمامه ويعرف نقاط ضعفه وما يحتاجه وما يناسب حاله ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾[٣٠] مجرد القول ، نحن إذا سمعنا صوتا في الخارج نستطيع أن نعرف لرجل هو أم امرأة ، رسول الله يعرف من صوته إذا كان منافقاً أم مؤمناً، رسول الله إلى جانب انه معلم هو مربي ،والمؤمن الذي يرى أن أمامه مستقبل ملئ بالكثير من العلوم التي يجب أن يتعلمها ويختار منها ،حتى تطابق علومه أعماله ،عليه أن يحتاط ولا يتسرع في اختياره ،لذلك فهو بحاجة لمن يأخذ بيده.

---

[٣٠] سورة محمد – ٣٠

نحن مع الأسف اعتدنا على أن لا نسمع إلا الأصوات التي هي في درجة نازله جداً والصادرة من داخل أنفسنا ،إذا جعنا شعرنا بالجوع بسهولة ، جعلنا أنفسنا دائما في مرتبة واحدة ، متمركزة في هذه المرتبة ، نعم تسمع وتتوجه ولكن بلحاظ ضعيفة ، ثم نقول نريد أن نعرف علاقتنا مع الله ونريد أن نصل إلى الكمالات التي لم نلتفت إليها ، إنما نلتفت ونعطي الحجم والقيمة للأصوات المادية ثم بعد ذلك نريد أن ندرك مالا نسمع ، نريد أن نسمع ما ينوس في أنفسنا أن نسمع صوت الحق ؟، لهذا يحتاج المؤمنون إلى رسول من أنفسهم يأخذ بأيديهم.

الفجور والتقوى

يمكن استنباط كليات مسائل فلسفة الأخلاق من هذه الآيات ، في كل نظام أخلاقي هناك مفهومان متضادان ، أحدهما يدل على الحسن والأخر على القبح ، في هذه الآية استخدم مفهوم الفجور والتقوى ،التزكية والتدسية، ومفهوم الفجور والتقوى يفيد معنىاكثر من الشر والخير الأخلاقي ، أو الحسن والقبح ، لأن فيها الإشارة إلى علة اجتناب الأخلاق السيئة لأنها موجبة لتمزيق الوجود الإنساني وخروجه عن حدوده وتعديه لطور الإنسانية وبالتالي خيبة وخسران أبديان .

بعكس التقوى التي معناها الحفظ والصيانة ، التقوى توجب صيانة النفس وحفظها ، وهناك أيضا نكتة في التزكية ذلك أن التقوى والتزكية موردا هما شيء واحد ، كل عمل صادر عن تقوى فهو تزكية للنفس وكل تزكية للنفس فهي دلالة على التقوى إلا أن مفهوم التزكية علاوة على ما في التقوى من معاني فيه شيء إضافي وهو أن أداء الوظائف الأخلاقية ليس فقط أنها تحفظ النفس من الخطر وإنما هي موجبة للنمو والرشد والكمال يقابل ذلك أعمال السوء التي توجب إدخال ودس عناصر مضادة للفطرة كالسم الذي يفسد الطعام .

ما معنى الفجور؟

الفجور :كلمة مأخوذة من الفجر والانفجار والتفجر وهذه فيها إشارة إلى أن في النفس نوع من وحدة الانسجام والاتحاد ،نفس الإنسان عليها غطاء جامع يجمعها على شيء واحد والعمل السيئ يشتت النفس ويمزق هذا الغطاء

الرقيـــق جداً فتتبعثر الـروح ،وأحيانـا يكـون الفجـور الـذي فـرق الـروح قـد جعلها غير قابلة للجمع والتوحد مـرة ثانيـة ، فـإذا كـان هنـاك إنسـان ممـزق الروح مشتت الهمة أو كما في الراويات ذو هموم مـختلطة يقول الأمير (ع) (فلا يبالي الله في أي واد هلك) .

عمل السوء بالإضافة إلى انه يعيب النفس فهو يكشف ستار النفس ويخرج هذا الميل من حيث كونه ميل كامن في الإنسان إلـى القوة فيصبـح هـذا الإنسـان هو نفسه فاجر ،هو نفسه خبـث ، عندمـا يتكلـم اللـه عـن المشـركين يقـول هـم رجس لا أن عليهم رجس ،هم نجاسات ﴿ انهـم رجس ﴾[31] عندما يتعود إنســان ما على أن يغتاب ويوهـن المسلمين تصـير نفسيته وتوهـين المسلمين شـي' واحد ،كون الإنسان لديه ميل للفجور لا يعني أن يمزق الإنسان هذا السـتـر فيخرج ما بالقوة إلى ما هو بالفعل فتصبح هذه النفس التـي كـان فيهـا مجـرد ميولات تصبح سنتها أن تسيء السوء ﴿ ثـم كان عاقبة الذين أساءوا السوء ﴾[32]

هناك أعمال يعملها الإنسان بمساعدة الشيطان ولا يكتشف أنهـا تعيـب النفـس ولكن هذه طبيعة الفجور تبدأ مـن الصفر فتتمكـن منـه ومـن نفسـه فتبعثرهـا وتفتتها ،وبعثرة النفس تؤدي إلـى أن القـوى التـي كـان يجـب أن تتمركـز فـي داخل النفس وتقربها إلى الله تتبعثر مما يؤدي إلـى عـدم إدراك الإنسـان لهـذه القوى ،فنحن نعرف وندرك بعض المسائل المعنوية الكبيرة مثل أن الله تعـالى حي قيوم ، رقيب عتيد لا يقبل من أعمالنا إلا ما قصدنا به وجهه تعالى، ومـع إدراكنا هـذا لا نستطيع أن نتمركز حول هذا الإدراك

---

[31] سورة التوبة – ٩٥

[32] سورة الروم – ١٠

لماذا لا نستطيع أن نتحد ؟.

لأن قوانا مبعثرة ، ومن بُعثرت قواه وطاقته لا يستطيع أن يجيب نداء الاتحاد ، فالدنيا وصفها الله ﴿ فجعله غثاء احوى ﴾[33] والكفار يتكلم عنهم ويصفهم فهو ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾[34] لأن الإنسان وتفكيره شيء واحد ، والذي يفكر في الغثاء هو أيضا غثاء، أما عندما يتكلم القرآن عن المتقين ﴿وأما أن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ﴾[35] فمقابل تلك الأنفس هناك من هو نفسه روح وريحان وجنة نعيم ، وهناك من هو والعياذ بالله غثاء فبعدا للقوم الظالمين ، ونحن نلاحظ أن قلوبنا لا تستطيع أن تتمركز حول هذه القوى ،ولكن الإنسان كلما ازداد اهتماماً بنفسه ازداد وعياً واتحاداً وقوة ، فيشتد وجوده فيدرك مالا يدركه الماديون ويعيش هو وإدراكه في مرحلة واحدة ، أي بمقدرما يعرف الله يتحد مع هذا المستوى من الإدراك.

التقوى :

التقوى تقابل الفجور الذي يبعثر النفس ويعيبها ، فالتقوى تصون النفس صيانة أخرى غير صيانة التسوية ، التقوى تحيط بالنفس الأمير (ع) يقول لكميل : يا كميل خذ الحيطة لدينك] والحائط هو البستان المسور ،يريد الإمام (ع) أن يقول لكميل دينك بستان وروحك بستان فخذ الحيطة لبستانك ويقول (ع) [ألا فتصونوا بها] أي التقوى.

---

[33] سورة الأعلى – ٥

[34] سورة المؤمنون – ٤١

[35] سورة الواقعة – ٨٩

نحن نعتبر المتقي هو الإنسان الذي لا يخالط الناس ولا يتكلم معهم ، هذا ليس محتاطاً ، هذا إنسان جبان كسول ،الحيطة لا تعني الاعتزال ،الحيطة تعني النزول إلى المجتمع والقدرة على المقاومة بحيث يداري الإنسان دينه أولاً ويجعل فوق الغطاء الذي هو موجود ويغطي النفس غطاءً يكبت الميولات و الصفات السيئة التي في داخله حتى تتلاشى ثم لا يحسب لها حساباً فلا تستطيع شياطين الجن والأنس على اختراقه وأخافته ﴿ الذين قالوا لهم الناس إن الناس جمعوا لكم فاخشوهم ﴾[٣٦] عندما يكون الإنسان ذو قدرة واقتدار وفن فإن المحتاط مقتدر وقوي لا من يهرب من الساحة ، لا انه فقط لا يقع في المحرمات بل تزيده رؤية المنحرفين ضعيفي الهمة قوة في نفسه،التقوى تعني الخوف على صفاء النفس ونقائها ، تعني تنمية بذور الخير والصلاح فيها .

ما هو اثر الاستغفار في ترميم ما فجرته الذنوب :

هناك ذنوب يرممها الاستغفار ،كما أن هناك أيضاً بعض الأعمال العبادية التي تؤدي إلى تجمع النفس وتمركزها واتحادها ، ولكن كل ذنب يذنبه الإنسان بإرادته ووعيه واختياره وبلا ضغوط خارجية يؤدي إلى تمزيق النفس ،ومن أذنب ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً ، كل ذنب يؤدي إلى أضعاف القوى العقلية ، والمراد العقل العملي طبعا.

بعض العلماء يقيسون الكبيرة والصغيرة ليس من جهة الذنب في الخارج بل من جهة السريرة ، كاستخفاف الإنسان بالدين ،والمساومة على الدين وفي

---

[٣٦] سورة آل عمران - ١٧٣

المقابل يقول ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾[٣٧] ولكن اغلب الناس يأخذون الدين بسهولة وبساطه ويتعاملون مع الله في زاوية واحدة في حياتهم ويتعاملون مع القرآن بمستوى رسالة من الأهل والأقارب مما يؤدي إلى التهاون والتساهل وبالنتيجة يؤدي إلى الغرق في الدنيا وتضيع النفس في ظلمات الأهواء.

الخيالات السيئة والنفس:

هناك من يعتقد أن الفجور نتيجة للتبعثر والتشتت وسعة الخيال ،ليس الأمر كذلك الإنسان ذو الخيال الواسع ليس مذموماً عند الله تعالى ، الذم للفجور والعمل السيئ هو الذي يبعثر النفس وليس تبعثر النفس هو الذي يؤدي إلى أن يكون العمل سيئا ، العوامل السيئة التي في قلب الإنسان والميولات التي هي والفجور شيء واحد هي التي تخرج هذه الميولات من حد القوة إلى الفعل فيكون هذا الإنسان سيئا في الواقع ،خلاف التقوى التي تحافظ على صفاء النفس .

التقوى ليست الخوف من كل شيء ، التقوى هي الخوف على صفاء النفس ، على الميولات الخيرة والرغبات الإلهية المودعة في النفس، ليس كل خيال وليد التبعثر والتمزق لعمل السوء ،للخيال والوهم اثر على نفس الإنسان ،فهناك القاءات وإيحاءات خيرة تساعد النفس على البحث عن الكمال وترتقي بها، وفي المقابل هناك الخيالات السيئة التي تؤدي إلى تمزق النفس، ليس كل خيال سيئ .

---

[٣٧] سورة البقرة-٦٣

هناك سعة الخيال وهناك ضعف النفس فإذا اجتمع الخيال السيئ مع ضعف النفس يؤدي ذلك أيضاً إلى تشتت الفكر وتقوية الميولات السيئة في النفس فيخرج ما كان كامناً بالقوة إلى الفعل بالواقع فيصبح المستوى الذي يلامسه الإنسان الذي قام بعمل السوء هو مستوى سيئ قد يصل إلى العقيدة لأن هناك ترابط بين العمل السيء وقلة الإيمان ، وبين توحيد الله تعالى والعمل الخير فكلما كانت أعمال الإنسان خيرة اكثر كان تمركز نفسه في المعنويات اكثر ،البعثرة والتشتت يمكن أن تؤدي بنحو ما إلى الفجور ولكن بلاغة الآية ناظرة إلى إمكان أن تجتمع قوى الإنسان وتتحد فتكون كما في الراويات قلب مجتمع.

كيف يدس الإنسان الفجور داخل نفسه :

بعد الحديث عن التقوى والفجور نعرف التزكية والتدسية : هذا التعبير يوصلنا إلى انه في الواقع هناك طهارة للنفس فإذا قدر الإنسان على تطهير نفسه وتزكيتها يحصل له حال واقعي من الطهارة والكمال والرشد وهناك أعمال توجب المفسدة الواقعية ، توجب نقص النفس وعيبها وضعفها .

وهذه من أهم النظريات الفلسفية .

ما هو ملاك الحسن والقبح الواقعي ؟

هناك أقوال ونظريات وعقائد مختلفة في المجاميع الثقافية وهذه المسألة معقد بحث في المدارس الفلسفية ، القول بالحسن والقبح الفعليين والواقعيين مقابل الشرعيين والوضعيين ، السؤال ما هو الحسن والقبح ؟ هل هذان الشيئان من واقعيات عينيه ؟ هل للعقل يعرف النظر في الواقعيات العينية ؟ هل له أحكام

عملية بديهية ؟ ثم ما هو ميزان الحسن والقبح ؟ وهل هو ما يحمده الناس والمجتمع ؟

يعتقد بعض الفلاسفة أن هناك مسائل محمودة عند الناس ليس لها واقعيات وإنما استحسنها المجتمع ومال إليها ، وليس هناك رابط واقعي بين الأعمال ونتائجها ، وإذا ماختلفت الناس في تشخيص الحسن من السيئ فالضابط هو اجتماع الشرائط الاجتماعية في أيهما اكثر ثم تدريجيا تغلب النظرة التي يحكم عليها بالحسن بعد ذلك فليس هناك ملاك في الحسن الأخلاقي .

هذه الآية صارحت في الرد على هذه النظرية :

فالآية تقول أن الأعمال موجبة لتزكية النفس ولها اثر واقعي على النفس ، وهذا ليس شيئا سليقيا ومزاجيا و ذوقيا ،بل أن هناك ملاك واقعي بين الفعل ونتائجه ، هناك رابط حقيقي بين التزكية والفلاح ، فكما أن بعض الأفعال تمرض البدن والبعض الآخر يوجب مرض الروح واقعاً ، ولكن مرض الروح متناسب مع الروح .

العذاب سوء الحظ في نظر القرآن هو البعد عن الله ، هذه أمور واقعية ، ويمكن تحليل ما ورد في الكتاب والسنة بأن نقول أن روح الإنسان إثر أعمال خاصة نجد لها رابط قوي بالله وهذا أمر تكويني وحقيقي ولكنه اكتسابي فهناك تلازم عقلي بين كمال الإنسان المطلوب وعمل الصالحات ، وإن كنا لا نستطيع أن نرى أثر الصلاة ولعل السبب في ذلك هو تحولها إلى عادة وهناك كلمة للسيد الشهيد ينقلها بعض الأساتذة : أن اضر شيء بالعبادة يقتل فائدتها أن تتحول إلى عادة ، نحن وان لم نر أثر الصلاة ولكن أثرها واقعي وعدم رؤيانا له لا يوجب النقص من واقعيته ، لذا يقول ﴿ قد افلح من

زكاها ﴾ التزكية ليست تابعة للذوق والسليقة والاعتبار ، إنما لها قانون تكويني وهي متحدة مع الكمال الواقعي الإنساني وينتج عنها الفلاح .

الدس :

معناه إدخال المضر غير النافع في داخل الروح بعد كسر الغطاء عنها ومحاولة تثبيت هذا الشيء الضار في داخلها و هذا من سمات الإنسان ، ومن معاني الدس أيضا المحافظة على الضار وتمكينه من التغلغل في داخل الروح حيث يبقى في مكان أصيل داخلها، ومن خواص الإنسان قدرته على دس الفجور داخل نفسه كما يدس السم في احسن طعام ،يستطيع الإنسان أن يدس السم لنفسه بيده فمن طبيعة الإنسان شعوره بعمل السوء ففطرته ترشده لذلك ،والدس هنا هو محاولة الإنسان إخفاء السوء لإن هناك عدة عوامل تحمي الإنسان من عمل السوء:

- هناك المراقبة الفطرية في داخله فهو يحاول أن يدس على هذا المراقب حتى يستطيع أن يحافظ على هذا السم المهلك ،فالإنسان إذا ارتكب الذنب يعرف انه أذنب هذا في بداية الطريق ثم بعد ذلك يصبح هذا الذنب عادة في الإنسان فيحاول أن يعطف الجوانب الخيرة فيه على هذا الذنب فيضلها ويدس عليها ،ولكن ﴿ الله يعلم السر وأخفى ﴾[٣٨] نحن عندنا علن وسر فهل هناك ما هو أخفى من السر يعلمه الله ولا يعلمه الإنسان نفسه ،يبدو أن الإنسان فيه من الخبث بحيث يستطيع أن يخفي حتى على نفسه أعماله السيئة فيجعلها تنسجم مع نفسه وفطرته ،وكلما حدث تزاحم وضيق بين

---

[٣٨] طه-٧

الفطرة وعمل السوء كلما حاول الإنسان أن يدس ويخفي اكثر وهذه ما يسميها العلماء بالنفس المسولة .

النفس والهوى:

أحيانا تسأل النفس وتلح في السؤال وإذا ألحت النفس على الإنسان لمعرفة نوع عمله قام هو بالإخفاء عن الجهات الخيرة التي فيه عماله السيئة ويحاول أن يقنعها بها يقول الأمير [كم من عقل تحت هوى أسير] هناك من عقله تحت هواه وهناك من هواه تحت عقله ، هناك من هو مثل موسى عليه السلام وصل إلى حالة من الصعق عندما طلب رؤية الله ، فالعقل إما أن يعقل الأمور ويحكم زمامها وإما أن يأسر الهوى العقل،والاسر هنا ليست كلمة مجازية ،أسير الهوى ارق من العبد لأن العبد له ساعة يرتاح فيها ويستريح ويفكر فيها بصفاء ،أما عبد الهوى فهو مشغول طول الوقت لا يجد راحة من سيده ،لذلك عمل السوء كما انه يؤدي إلى تفجر النفس وبعثرتها فالإنسان من خاصيته قدرته على دس العمل السيئ على الجوانب الخيرة حتى إذا ناقش نفسه عطف ذا على ذاك ،لا ذاك على هذا ، وعندما نكمل طرح النظرية سوف يبدو واضحا كيف أن كمال الإنسان الوجودي في هذا ونقصه في ذاك .

الكمال الإنساني:

الموجودات في هذه الدنيا ذات مراتب وجودية ، الجماد موجود إلا أن مرتبته الوجودية أدنى من مرتبة النبات ، فالنبات حي نامي مولد للمثل والحيوان له مرتبة افضل من هذه المرتبة ،للحيوان خاصية التحرك والشعور والإدراك النسبي وهي التي تفرقه عن النبات أما الإنسان فيجمع كل هذه المراتب الوجودية وله زيادة على ذلك مرتبة وجودية من العلم والإدراك والمعرفة

واختيار الأحسن والتزكية وسعة الوجود تعني اتساع دائرة القدرة واتساع دائرة العلم والإدراك والمعرفة واتساع المحبة ، وهذه حركة اختيارية يختارها الإنسان .

النفس في وحدتها كل القوى ،واتساع النفس لا يعني أن تفقد المراتب السفلى ، فالكمال في الأخذ من هذه المراتب بالقدر الذي يوازي كمال إنسانيته الاصيله ، وكمال إنسانية الإنسان ليس في المرحلة التي يجتمع فيها مع الحيوان أو النبات ، إنسانية الإنسان في سعة معرفته وبهذه المعرفة والإدراك يمكنه أ ن يختار أن يكون من أولياء الله الصالحين وممن عنده الاسم الأعظم ويمكنه بسعة الأفق واتساع الروح والنفس أن يتحمل هموم كل المسلمين ، و أن يكون همة الديني اكثر من همه الشخصي فيصبح المؤمنين جزء من روحه ، ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾[٣٩] النبي كانت روحه تذهب حسرات على الناس ومسؤليته في هدايتهم كونية أما مسؤليتنا نحن فاعتبارية شرعية،هذه القدرة على أن تنتشر الروح وان تأخذ لها مرتبة وجودية تحافظ وتتمركز في هذه المرتبة بحيث انه حتى الأعمال الحيوانية (الأكل والشرب ...) إذا صدرت عن هذه المرتبة كانت هذه الأعمال عند الله بنفسها عملا صالحاً مستحبا ومرادا ومطلوبا لأنه يحافظ على تمركز الروح في تلك السعة وذلك المقام.

---

[٣٩] الشعراء-٣

سعة الروح

يقول الأمير (ع) : كل إناء يضيق بما فيه إلا إناء العلم فإنه يتسع) كما قال الأمير (ع) كل إناء إذا وضعت فيه شيئا يضيق إلا وعاء العلم ، فالعقل والروح كلما اكتسبا معلومة كانت هذه المعلومة أرضية لمعلومة أخرى كمن يحفظ طالباً في المرحلة الابتدائية جدول ضرب ٢ ثم يكون حفظه لهذا الجدول أساس الأرضية لحفظه جدول ضرب ٤ لأن ظرفيته توسعت ، وزيادة الظرفية تعني سعة الوجود ، وهذه خاصية الروح تتسع كلما زيد في مظروفها ، عندما تشرح مسألة وتدركها هذا الإدراك سيكون سببا لمعارف أخرى .

وكذلك في أداء الأعمال العبا دية ،فأحيانا لا يكون لدى الإنسان ميل للعبادة ولكن ميول الخير حتى تنمو تحتاج أن يقدم الإنسان على العمل مرة ومرتان وثلاث ليكون عادة من عاداته ثم يقفز فوق هذه العادة ويدخل فيها ويدرك ما في داخلها ، رسول الله (ص) يقول :حفت الجنة بالمكاره) أعمال الخير حافتها مكاره وصعاب لكن تعلم عليها ، حاول أن تلتزم نافلة بحيث لا تتركها وسوف ترى أن في داخلها لذة ، وأن حواف العبادة مكاره تحتاج إلى شجاعة لتقفز عليها وتدخل في باطن العبادة ، وحتى تدخل النفس تقتضي ما عودتها عليه .

ليس المقصود أن تصبح العبادة عادة عند الإنسان لأن العادة تقتل العبادة ، المقصود هو القدرة على السيطرة على النفس وتقوية الإرادة ، القدرة على التحكم في النفس حتى تتحكم في الخيال ، أولاً تحكم في النفس خطط وارسم

برنامجاً والزم نفسك بهذا البرنامج ، لا ترسم هذا البرنامج وفقا لهواك وتجعل عقلك يسر خلفه ، يقول تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾[٤٠] السدى هو الحيوان الذي ليس له قائد ،ليس له سيد ، في الصحراء يأكل ويشرب وينام ويتحرك وقت ما يريد ليس عنده ضابط ولا ميزان ولا معيار ، فهو محلول القيود.

هذا غير أن غيرنا يقيدنا ، غيرنا يسيرنا ، غير ميولاتنا الخيرة هو الذي يحركنا ، وهذا يعني أن تضيق وتكبت النفس وبالتالي لا تتزكى ، التزكية هي أن يستقر في النفس ما هو حسن وان تثبت من العادات في النفس ما هو خير وتطرد كل ما هو ضار وتطرده على عجل لأن في تأخير الخير آفات ، كل ما يعث في النفس ويؤذيها فهو ذنب ، يقول الأمير (ع) : ما ضرني ذنب اذنبته حتى اصلي لربي ركعتين)بمجرد إحساسك بالإساءة حاول أن ترفع هذا الكبت في أسرع وقت لأن هذا الكدر ليس مسألة اعتبارية بل هو مسألة حقيقة وواقعية تضيق من سعة هذه النفس .

فالنفس كما أن فيها ميولات علمية فيها ميولات روحانية ، الميولات الغذائية ليست ميولا للنفس في أعلى مراتبها إنها مطلب للجسد والنفس بما هي مقيدة بالجسد وملاصقة له و لأن النفس مزاحمة للجسد وقريبة منه فالنفس تسحب الجسد إليها ومن ثم تشعر الروح والجسد بالجوع وإلا هذه ليست خاصية من خاصية الروح ولكن لأن الروح والجسد مختلطين لذلك يصعب التفكيك أيهما مختص بالروح وأيهما مختص بالجسد .

---

[٤٠] سورة القيامة-٣٦

كل يعمل على شاكلته :

المعرفة وسعة الإطلاع وكثرة الوعي والجدية مع النفس وعلو الهمة تؤدي إلى اشتداد وشدة وجود الروح ، وإذا اشتدت هذه المرتبة الوجودية كما ذكرنا أصبحت كل الأعمال صادرة عنها وأصبحت هذه الشدة شاكلته ، إذا اصبح هم الإنسان إصلاح نفسه لن تصدر منه أعمال تنافي هذا الهم ، وعندما يصبح هم الإنسان أن يتخلق بالأخلاق الصحيحة الواقعية في هذه المرتبة فقط تكون إنسانية الإنسان .

الإنسان الذي خلقه فسواه وقدره فهداه ، لكي تتفتح بذور الخير الكامنة في نفسه عمل الخير هو الذي يفتحها ويخرج هذه الميولات التي هي بالقوة إلى ما هو بالفعل ، إذاً العمل الخير الذي يثيب الله عليه لا يعني أن الله يعطي جزاء ،بل الله يعطيه مرتبة وجودية .

عندما لا يعطي الله أموالاً يعطي الله مسائل واقعية أو يسلب مسائل واقعية ، هذا في العطاء أما في السلب فإن الله إذا أراد أن يسلب إنساناً إنسانيته يقول عنه كما قال في بني إسرائيل ،أصحاب السبت ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [41] ليس معنى الآية أن الله مسخهم وجعلهم قردة ، لأن هذا يناقض كثير من القواعد العقلية المقررة في الفلسفة ، ليس المسخ بتحويلهم إلى قردة على بعض التفاسير ، لأن قردية القرد للقرد لا تعد مسخا له أو ذلة ،فالقرد لا يستحي من انه قرد .

---

[41] سورة البقرة-٦٥

والآية تقول ﴿ قردة خاسئين ﴾ ولكن إذا كانت الصورة صورة إنسان والقلب قلب قرد وحيوان فهذا هو الخسء ﴿ وجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾[٤٢] هذه ليست قصة في واقعة أناس عصوا الله فمسخهم قرده ، هذا قانون ، لأن النكال أن تضرب مثالا للاعتبار ثم موعظة تقول للإنسان : أنه من الممكن أن يحدث لك ويجري عليك ما جرى على هؤلاء ، هؤلاء أُناس ولكن إرادتهم وتصميمهم وميولا تهم قردية ، مرتبتهم الوجودية مرتبة قرد أو خنزير واشكالهم أشكال بشر ، وإلا لا يكون نكالا و يكونوا خاسئين .

وهناك من ينزل إلى أدنى من هذه المنزلة فيكون قلبه كالحجارة أو أشد قسوة ، لأن من الحجارة ما يتشقق فيخرج منه الماء والبركة ومنها ما يهبط من خشية الله ، بعض يكون كالأنعام وبعض أذل من الأنعام وأردى وبعض كالحجارة لا حس له أصلا أو شعور، من شدة الحادة ومن كثرة ما دس في نفسه ومن المنزلة التي أنزل فيها نفسه سوف يكون والعياذ بالله قاسي القلب كالحجارة بل اشد بحيث لا تؤثر فيه موعظة ولا كلام عن الله فلا يتعظ مما يرى حوله من أحوال الناس في الدنيا حيث لا ينفع الإنسان إلا العمل الصالح ، وبالرغم من انه يرى أن إنسانيته ليست في المسائل التي يصرفها فيها ويرى أن دينه بحاجة إليه ومع ذلك لا يلتفت إلى كل هذا ، مثل هذا قساوة قلبه زادت على قساوة الحجارة لأن الحجارة فيها مسام تتفتح ويخرج منها البركة ، أما هذا فروحه لم تعل ولم ترتفع بل انطوت وانطوت حتى يأتي يوم النشور ويخرج ما فيها من خبث والعياذ بالله .

---

[٤٢] سورة البقرة-٦٦

يوم النشور تتفتح فيه كل هذه الذرات وما انطوى في نفس الإنسان يتفتح لهذا الإنسان ، والتزكية هي أن ترتفع بالنفس بإرادتك واختيارك وبمشيئتك إلى مرتبة وجودية واقعية ليست مرتبة خيالية وهذه المرتبة رفيع الدرجات والله هو القادر على أن يجعل الإنسان ثابتا في هذه المرحلة ولكن الحركة الأخلاقية منسوبة بالأصل والذات للإنسان ،العمل الأخلاقي هو العمل الصادر عن النفس بوعي واختيار نافع للهدف النهائي ،أو على تعبير الفلاسفة _ منتهي إلى نتيجة المطلوبة _ ولكن ما هي النتيجة المطلوبة من الإنسان حتى نرى أن كل عمل نقوم به هل هو مؤثر ومقصود في النتيجة المطلوبة؟

بمقدار ما يكون العمل فيه رضاء لله سبحانه وتعالى بمقدار ما يكون بانيا لنفسية الإنسان و متمركزاً بالروح في مرتبة من المراتب الكمالية ، والمراتب الكمالية للروح طويلة وممتدة جداً ، حتى أن رسول الله (ص) وصل إلى مرتبة يقول عنها جبرائيل : لو دنوت قدر أنملة لاحترقت) .

من أين يكتسب العمل قيمته ؟

ما هو المعيار والميزان الذي نعرف به أن هذا العمل صالح أم لا ؟

للإنسان هدف نهائي ونتيجة مطلوبة وله مقطع من التزكية هو مدعو إليه ، وكل ما يؤثر في هذا فهو مراد ، وكل مالا يؤثر فهو إما عمل لغو ومهمل أو مضر ، كل إنسان بحاجة إلى الماديات من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، ولكن ما يفيده من الماديات ويؤثر في كماله الواقعي هو ما يحتاجه فعلاً منها ، وكل ما زاد على ذلك بطريقة أو بأخرى إذا لم يكن مضراً له فهو لغو .

اللغو لا يكون فقط في الكلام ﴿ الذين هم عن اللغو معرضون ﴾[٤٣] ﴿ الذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾[٤٤] اللغو ليس مجرد كلام ، كل تصرف ، كل شراء، كل زيارة ، أو أكل أو شرب أو بيع أو أي شيء يمكن أن يؤدي إلى ضعف الهمة وليونة النفس والتساهل هو لغو وإدهان ﴿ افبهذا الحديث انتم مدهنون ﴾[٤٥] لو لاحظ الإنسان حياته وأنصف في محاسبة نفسه سيجد أن اللغو يشكل جزء كبير من حياته ٣٪ من احتياجاته المادية هو بالفعل يحتاج إليه و ٩٧٪ لغو والمشكلة الحقيقة هي في انسجام الروح مع هذا اللغو.

---

[٤٣] سورة المؤمنون - ٣

[٤٤] سورة الفرقان - ٧٢

[٤٥] سورة الواقعة - ٨١

مثال النماء الصالح

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾[٤٦] الآية بدايتها تتحدث عن الاصطفاء والصفوة وتقول أن هناك أناس كدرين وهناك أناس مصطفين ليس فيهم كدر ،ليس فيهم غير الصفاء والطهر ،لماذا اصطفى الله هؤلاء ؟

لأن ﴿ الله اصطفى لكم الدين ﴾[٤٧] بقدر ما يكون في الإنسان من الدين فهو مصطفى وكلما كان فيه شوائب من غير الدين فهو مختلط ، الآيات كلها تتحدث عن مريم ، ولادتها ، نشأتها ، إنباتها ونموها وزكاتها ، يتحدث أولاً عن بذرة مريم الصافية ،عن أمها هذه المرأة العظيمة الواعية الحكيمة التي كانت في اشد الحاجة للمساعدة والسند بعد وفاة زوجها ، إلا أنها وبالرغم من هذه الحاجة الملحة للابن نذرت أن توقف هذا الابن لله ، ومعنى أن توقفه لله أن لا تأخذ منه أي مصلحة أو فائدة ،هو مطلقا لله ، ولكن الله جعل ما في بطنها أنثى ، والجزء الذي نريد الإشارة إليه والذي يتعلق ببحثنا هي ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا طيبا وكفلها زكريا ﴾[٤٨] .

---

[٤٦] سورة آل عمران - ٣٣-٣٥

[٤٧] سورة التوبة - ١٣٢

[٤٨] سورة آل عمران - ٣٧

١-لكي يوضح القرآن ما هوالإنبات الحسن وكيف يكون قال : ﴿ وكفّلها زكريا ﴾ جعل الله مربي مريم ومعلمها نبي ، ليقول أن الإنبات الحسن والنبات الحسن حتى ينمو يحتاج إلى رعاية ومداراة وإلى من ينبته .

٢-الذي تقبلها لم يتقبل أعمالها فحسب بل تقبل مريم وذات مريم ، تقبُّل مريم غير تقبل أعمال مريم ، نحن لأننا مشوبون الله يتقبل أعمالنا ولكن ذاتنا ؟

من معاني الزكاة الإنماء وسعة الوجوّد وتفتح هذه البذرة الخيرة في الإنسان ، وحتى يبين لنا القرآن كيف تتفتح هذه البذرة يقول ﴿ وكفلها زكريا ﴾ جعل زكريا كفيلا لمريم في جميع شؤونها الكبرى والصغرى طعامها ، مشربها ، مسكنها ، أخلاقها ، توجهاتها الدينية ، كل شيء يختص بمريم كان زكريا يقوم به ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [٤٩]

المأخوذ في حسن التربية حسن المعلم والمربي لأن البذرة الموجودة لكي تتفتح تحتاج لمن يسقيها ويصقلها ، ويغرس معرفة الله فيها ويحاول أن يقضي على الضار ويجتثه منها ، ويحاول أن ينمي فيه جوانب الإنماء الحسن ، أحيانا يكون عند الأم كم من المعلومات التربوية الحسنة تحاول أن تغرسه في نفس أبنائها فهي تدرك أنها إذا لم تكن ذاتها صافية ١٠٠٪ فلا أقل من أن يكون عملها مخلصا وحسنا حتى يتقبل الله هذا العمل ويطرح فيه الثمرة ، فأقل شيء تقوم به الأم أن يكون عندها مستوى علمي وعقائدي ومعرفة بالأخلاق الحسنة حتى تنبت نباتا حسنا.

---

[٤٩] سورة آل عمران - ٣٧

وإلا الإنبات الحسن لا ينمو وشأنه ، هذا النمو والنبات والتزكية اختياري ، وله شرائط تحوطه وتؤدي إلى كماله ، ومن هذه الشرائط وجود مرب ومعلم أخذ باليد ، فكيف إذا كان هذا المربي والأخذ باليد نبي أو فيه شمة نبوة ،النبوة بالأصالة للأنبياء ألم يرد في الروايات (أن شيعتنا خلقوا من فضل طينتنا) يعني بعض هذه الطينة موجود في أنفسنا ،، في نفس هذه الأم والأب المربي ،هذه الطينة اختيارية ، المربي هو الذي يختار ويشخص ويحدد ويضع يديه على النقاط التي يجب تنميتها ومن المفروض الارتفاع بمستواها ، كما يقضي على الشوائب والكدورات التي تختلط بهذه البذرة ، وهذا دور الوالدين في تربية أبنائهم .

لذا إذا قلنا أنفسكم في النفوس ، وكون رسول الله من أنفس الذين أمنوا ، تعني أن حاجة الذين أمنوا للمربي اكثر من حاجتهم للمعلم ومعلوماته لأن هذه المعلومات أكثرها موجود في النفس ولكن الرسول يأتي ليؤكد هذه المعلومات ويذكرهم بها ، على حد قول الأمير (ع) يستثير لهم دفائن العقول) كل منا في داخله كنز عظيم عليه أن يتحرك لاكتشافه ، أحيانا تكون هذه الحركة عادية وأحيانا تكون استثارة وتحريك ودفع ، حركة الأنبياء ليست في توجيه الناس للمسائل الخيرة ، حركة الأنبياء استثارة الناس كمن يجلس مع شخص ويحاول أن يستثيره ليتحرك فيستفز عقله ومشاعره وأحاسيسه .

لذلك عندما يتحدث الأمير (ع) عن أهل البيت يقول : نحن مستثار العلم) ساحة أهل البيت ساحة استثارة لهذه الكوامن الخيرة الموجودة في النفس هي التي تعلم الإنسان الثورة ، الأنبياء والصالحون هم أكثر الناس ثورية في هذا العالم لأنهم يعرفون كوامن الخير في الإنسان ويعلمون ما لذي يمكن أن

يستثير ويحرك ويهيج هذا الركود والجمود من النفس ، وهذا كله يؤخذ من كلمة التزكية .

الأعراض عن ذكر الله والشعور بالضيق :

التزكية والتقوى شي ء واحد كل تزكية تقوى وكل تقوى تزكية إلا أن التزكية فيها إضافة على التقوى اتساع وجود حقيقي لا اعتباري وحتى نوضح حقيقة هذا الأتساع نرجع إلى كتاب الله الكريم الذي يتحدث عن فئة من الناس فيصفهم بأنهم دائما مضيق عليهم في هذه الدنيا ويعيشون في ضنك ﴿من اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾[٥٠] وفي أخر المطاف ﴿ وإذا القوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا ﴾[٥١] كل منهم موضوع في مكان ضيق ومقيد وهذا الضيق لا يفارقهم ، الإعراض عن ذكر الله ليس ضيقاً يمكن أن تخرجه من نفسك ، لا تستطيع أن تلهو بغير الله وتتخلص من هذا الشعور ، حتى لو اعتقدت بذلك ووجدت نفسك مستغرقا باللهو معرضا عن ذكر الله بمجرد انتهاء هذا اللهو ترجع حالة الضيق والضنك .

هذا الضيق ضيق وجودي لا يمكن التخلص منه لافي الدنيا ولا في البرزخ ولا في جهنم ، ذلك أن فطرة الإنسان لا تموت ،هذه الكوامن الموجودة في النفس عندما يحاول الإنسان أن يقتلها أو يدس فيها الضار ويمنعها من التحرك والنمو، هذه الميول التي تزداد كلما ازداد إيمان المؤمن وازدادت حيوية وقوة

---

[٥٠] سورة طه-١٢٤

[٥١] سورة الفرقان-١٣

وروحانية ، عندما يحاول أن يقتلها يدخل نفسه في حالة من اليأس والبعد عن الله تعالى ويؤدي إلى جمود هذه لكوامن الخيرة .

كل ميل خير في داخلك عندما تقوم بتحقيقه تجعله يشتد بنفسه اكثر فتزداد ميولاتك الخيرة وتتطلب ذكراً اكثر وعملا وطاعة أكثر وتوجها أكثر (وألهمني ولها إلى ذكرك)[٥٢]، وكلما أطاع الإنسان هذه الطاعة اتسع وجوده واقعاً ، أما إذا تنكر لهذه الميول وضيق على نفسه فهو في الدنيا في ضيق حتى لو أعطي كل مباهج الدنيا لا يفارقه هذا الشعور ، وعندما يموت أول ما يراه في أول لحظات الموت هو هذا الضيق ، هذه الظرفية الضيقة ، على الأقل في الدنيا كان يشتغل بأمورها لحظات كمن يخدر نفسه ثم بعد ذلك يرجع لطبيعته ولكن بعد الموت ليس هناك إلا هو ونفسه ، هو وواقعه ، هو وأخلاقه وعقائده وأعماله وكلها ضيقة ، وهو في ضمنها وهو وهي شيء واحد ، ثم بعد البرزخ جهنم {القوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين}جهنم وهي جهنم في حالته مكان ضيق ليس على جسمه فقط بل على روحة لأنها ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾[٥٣] .

ما هو الفؤاد ؟

الفؤاد هو وجود الإنسان ، هل هناك شيء يحرق وجود الإنسان ؟ يمكن للنار أن تحرق هذا القلب الصنوبري ولكن لا تحرق وجوده ، أنت أيها الإنسان تستطيع أن تحرق وجودك بأن تحرق ميولاتك الإلهية وتهدرها في لاشيء ، كم مرة أضعنا فيها هذه الميولات ؟ كم مرة شعرت أيها الإنسان بميل وتوجه لله واضعته ؟

---

[٥٢] المناجاة الشعبانية

[٥٣] سورة الهمزة-١٧

كان بعض أصحاب الأئمة (ع) يتصرفون مع دينهم تصرفات قد نتعجب نحن منها ونعتبرها تصرفات غير طبيعية ، ترك أحد أصحاب الإمام الصادق بيته وأهله وسافر من بلد إلى بلد ليعرف معنى آية عجز عن فهمها ولم يستطع أصحابه في الكوفة من شرحها له ، وكانت هذه الآية تتعلق بالأئمة (ع) ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ [٥٤] ذهب الرجل إلى المدينة ليسأل الإمام جعفر الصادق (ع) عن معنى الآية ، ولاقى في سفره شدائد وصعاب ، وعندما رجع إلى الكوفة خرج أصحابه من علماء الشيعة مع جمع كبير لاستقباله ينتظرون جواب الإمام ، عندما شاهدهم قال : جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، يقول الصادق (ع) في معنى الآية بما معناه أن الظالم لنفسه هو الساكت عن حقه ، (الذي لا يتحرك منا) والمقتصد هو المظلوم منا والسابق بالخيرات هو الذي يهيأ الله الأرضية لكي يتحرك منا .

فلنقارن عمله هذا بأعمالنا وتهاوننا في كثير من المسائل ، هذا ضيق واقعي لا اعتباري ، لو كنت في حالة معنوية جيدة ورفيعة واضطررت وأنت في هذه الحالة أن تجامل شخصا ممن لا يهتم بالمعنويات اهتمامه بالماديات ألا تشعر بالضيق ؟ أنت تجلس معه وهو يتكلم عن ماديا ته ، ألا تشعر روحك بالتعب والإسراف في الوقت والعمر، هذا الشعور بالضيق حقيقي ليس شعورا كاذبا ، حقيقة تشعر في مثل هذه الأوقات أن روحك هوت من مرتبتها الواقعية.

١. ليست المسألة مسألة مزاج ، ذكر الله ليس مزاجاً ذكر الله له أثر واقعي على النفس ، وبحسب المرتبة الإيمانية التي هو فيها يكون شعوره بالضيق

---

[٥٤] سورة فاطر-٣٢

إذا جلس مع من لا يذكر الله ، هذه الحالات مجرد أمثله للشعور بالضيق الواقعي الذي يراه الإنسان وجوداً عندما يتحرر من المادة ، نحن الآن لأن جزء من روحنا مادي وجزء منها معنوي ، جزء دنيوي وجزء أخروي ، جزء منها يأنس بالأصحاب والأقارب ،وجزء عبادات وطاعة لله وجزء طاعة لغير الله لذلك يمكن أن لا نشعر بهذا الضيق ،ولكن عندما تتقطع بنا الأسباب ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾[٥٥]

معنى تقطع الأسباب :

الماء مثلا من خاصيته الارواء ولكن إذا سلب الله الماء هذه الخاصية لا يستطيع الماء أن يروي عطشك حتى لو شربت نهرا أو محيطا لا تروى ، لأنه ليس سبباً ، هذه السببية للماء من الله ، إذا تقطعت الأسباب لا يكون لشيء أي تأثير حتى تتوقع منه أن يرفع الضيق عنك حتى الشك الوهمي بما حولك لن يفك قيد وحدتك ،إذن ليس هناك مجال للسعة والأتساع والنمو إلا في هذه الدنيا وهذا النمو والاتساع لا يكون إلا بالاعمال الاختيارية وهذه الأعمال تأخذ حجمها فقط بمستوى وعي الإنسان وإدراكه للعلوم التي تمتزج مع نفسه وباختصار بعالمه الحضوري بالله.

ماالنفس ؟

النفس حتما ليست هي الجسد وهذه حقيقة مفروغ منها ، النفس إذا خرجت من الجسد اصبح جيفة بين أهله أسلموه إلى عمله ، النفس هي إرادتنا ،تعلقنا ، طموحنا ، همومنا، عقائدنا، أخلاقنا ، هذا المزج مع العواطف يشكل النفس ،

---

[٥٥] سورة البقرة-١٦٦

هذا المزيج من العواطف والطموحات والهموم والأخلاق لا يعطيها حجمها أبدا إلا عقائد الإنسان التي تمتزج مع نفسه وتتخللها وتظهر في كل سلوكه ،وحركاته وسكناته، المؤمن الذي امتزجت هذه المشاعر في داخله مع عقائده لا يستطيع أن يصلي إذا أذى أحد المؤمنين ، لا يمكن أن يكون هناك انفصال بين العقيدة والأخلاق التي هي صورة النفس ، أنت وعقائدك شيء واحد هناك علوم تتركك وعلوم تتبعك إلى قبرك ،ما الفرق بين آل البيت والصالحين من المؤمنين ؟هل الفرق في أفعالهم ؟ما هي أفعالهم ؟ كانوا من الزاهدين ؟ سلمان المحمدي كان زاهدا ، كانوا ينفقون في سبيل الله ؟ أبو ذر الغفاري انفق في سبيل الله ، جاهدوا ؟ غيرهم جاهد لكن هذا الكلام الذي لا يستطيع غيرهم أن يقوله ، هذا العلم الذي لا ينبع إلا منهم ،هذا هو العلم الذي تطلبه من المهد إلى اللحد ، هذا هو العلم الأصيل الذي لا يتركك وينفعك في البرزخ وعند الصراط ويصحبك في الجنة دائماً ، العلم الذي يصحبك هو علم العقائد والمعرفة والإلهيات والقرآن ، مالا يحده زمان ، لأن هذا العلم سعته الوجودية أوسع منك ، كلما أخذت منه أغرقك واغرق روحك وكلما أعطيت وأطعت تشعر أن عندك محبة للطاعة أكثر .

يقول الإمام الحسين (ع) في دعاء عرفة : (إلهي إنك تعلم إني وإن لم تحم الطاعة مني فعلاً وجزماً فقد دامت محبة وعزماً) يعني أن يقول محبتي أكثر من فعلي محبتي دائمة لا انقطاع لها ،وإن كان فعل الإمام تأدباً أمام الله وهو يرى ذلك واقعاً لكن هناك محبة تغرقك وتفنيك ، هي أكبر من سعة ووجودك، اطلب هذه المعرفة التي روحك فيها ، التي مهما أطعت وعبدت لا تشعر بالملل من العبادة بل تشعر بتزايد الميل والإرادة في داخلك هذه العقيدة

وهذا العلم أفضل من أعمال المؤمن ، نية المؤمن الصالحة أفضل من عمله لأنها مطلقة غير مقيدة.

العمل له وقت معين وزمان معين أما النية الصالحة فلا تنتهي ، لذلك في الفلسفة عندما يبحثون في سبب خلود أهل جهنم فيها وخلود أهل الجنة في الجنة ، لأن أهل النار نيا تهم كانت سيئة والنية أمر مجرد لا وقت له ولا حد له لذا خلدوا بها، المسائل المجردة يحشر بها الإنسان مجردا ، والمسائل المقطعية الزمانية الوقتية التي تنتهي وتترك الإنسان هذه فقط تقتضي للإنسان في هذه الدنيا ، ولها من المدح في الشريعة بالمقدار الذي يساعد الإنسان على كماله ،إذن على الإنسان أن يجعل أمامه كماله الواقعي والحقيقي والمطلوب ثم يقيس كل أعماله عليه ويرى واقعا كم تؤثر في هذا الكمال المطلوب .

ما هو مطلوب الإنسان النهائي ؟

ما هو معيار ومقياس هذا الكمال المطلوب من الإنسان حتى يقيس عليه الإنسان أعماله في الخارج ويعرف أن كان هذا العمل يناسبه أم لا ؟

لو لاحظنا ترتيب الآيات القرآنية في البداية يعبر الله عن علة خلق الإنسان فيقول:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[٥٦] لكن يبدو بالدقة أن العبادة ليست هي الهدف، العبادة مقدمة للهدف يقول تعالى ﴿ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾[٥٧] يقول العبادة طريق ، العبادة صراط ، بداية يقول للإنسان ما خلقت الجن

---

[٥٦] سورة الذاريات – ٥٦

[٥٧] سورة يس – ٦١

والإنس إلا ليعبدون ولكن إذا اصبح الإنسان عابداً يحب العبادة يقول له العبادة ليست الهدف العبادة طريق وسبيل وهذا الطريق والسبيل وراءه نتاج حقيقي وواقعي ، العبادة محدوده كلما عبد العابد فعبادته محدودة أما الطريق فغير محدد لا نهاية له ، وأن اعبدوني – أي العبادة –هذا صراط مستقيم ،إلى ماذا يؤدي هذا الصراط ؟

يقول الله تعالى ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [٥٨] (حتى) هنا لبيان المنفعة وليست للغاية ، ليس معناها اعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، ليس حين تصل للغاية فقد انتهى كل شيء ، وإنما المعنى أن العبادة تعطي فائدة ومنفعة وإذا لم تعط هذه الفائدة والمنفعة لم تعط الغرض منها ، وهو اليقين لا يبقى للإنسان إلا المسائل اليقينية التي امتزجت مع نفسه وتشكلت حتى صارت هي ونفسه شيء واحد وصورة واحدة فهي :

١ .تدعو للعبادة ، وإذا عبد الإنسان تقول له ليست هذه النهاية ولا النتيجة، العبادة عمل جسمي وجوارحي ، العبادة تكشف عن الطريق والسبيل ، بالعبادة تسيطر على كل الميول الغير صحيحة ،المجموع الكلي للعبادة لا يتعلق فقط بأدائنا للعبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة فقط فقد يكون الإنسان ممن يحافظ على الصلاة ويخشع في صلاته ولكن أخلاقه ومعاملاته مع الناس ليست حسنة أو ليست بمستوى صلاته ، المجموع الكلي لعباداتنا يدخل فيه مثل هذا التدقيق على جميع نواحي معاملات وعبادات الإنسان والتوفيق يوضع على هذا المجموع الكلي.

---

[٥٨] سورة الحجر-٩٩

وبالنتيجة هناك مجال للإنسان لو قصر في جانب أن يرمم في جانب أخر ويتدارك ورسول الله (ص) يقول : **أنا الضامن على الله انه لا يعثر عاقل إلا رفعه ، ثم لا يعثر إلا رفعه ، ثم لا يعثر إلا رفعه ، ثم لا يعثر إلا رفعه حتى يصار به إلى الجنة**) عندما يكون عند الإنسان منظار واقعي ويريد أن يكون صالحاً حتى لو سقط وهوى الله يرفعه ، والتكرار في قوله رفعه يفيد أن الإنسان خطاء وهذا الخطأ ليس عيبا على الإنسان إذا لم يكن عامدا إلى تمزيق نفسه ،يقول الإمام الصادق أو الباقر (ع) (**المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها**) المؤمن مشغول عنده شيء يراقبه معتن به ، دائما يفكر فيه هذا الشيء هو نفسه ، ماذا يريد منها؟ يريد أن يغلبها على هواها ، فمرة يغلبها وينتصر، ومرة تغلبه فينكسر، يقول الإمام (ع) : **فيزداد نوراً وإيماناً لما زيد فيه من خشية الله**) يمكن ان نفهم من الرواية ان الإمام يريد أن يقول هل تريدون أن أعلمكم كيف يكون السقوط علة للارتفاع مرة أخرى وزيادة الإيمان ؟

٢.إن المؤمن إذا كانت عنايته بنفسه ، إذا كان معني بمجاهدتها هذه العناية والاهتمام بقدر ما يتحملها هو يتحملها عنه رسول الله (ص) لأن نفسه بالأنفس ، بقدر ما يتحمل هذه العناية الله يتحملها عنه لأن من كان همه هم واحد كفاه الله همه ،لذلك إذا سقط حتى لا تهوى روحه يزداد إيمانا ونوراً لما زيد فيه من خشية الله .

فالنتيجة أن الشعور بالسعة أو الضيق شعور واقعي وجودي ، إذا تحركنا من جانبنا الحيواني نشعر بالأذى في ألذ المواقف ، إذا تحركنا من جهة أنانيتنا في أخلاقنا في أي اتجاه تحركنا نحن نضيق على أنفسنا ، بعكس ما لو تحركنا في

عالم اكبر كأن نعمل من أجل رسول الله بأن تضع في بالك أنك ترفع هذا العيب من نفسك كرامة لرسول الله (ص) عندما تكرم رسول الله انتظر منه (ص) أكثر ، إذا صارت علاقتك بأهل البيت علاقة محبة بحيث تفرح لفرحهم وتحزن لحزنهم وصاروا قطعة من وجودك يقول الصادق (ع) : وأصبحت تدفع عنهم كما تدفع بيدك عن عينك) قد تؤلمك يدك ولكن عينك أهم فادفع بروحك عن روح روحك يعني أهل البيت _ ألقِ بنفسك في المتاعب ولكن من أجل رسول الله لأن نفسه في الأنفس ، لأن روحه داخل الروح ، لأن قبره داخل القبر ، ليس معنى السعة الوجودية مجرد تصوير خيالي فلسفي لا وجود له فمن لم يعتقد بالبرهان السابق فهو يشعر ويجد فطرياً وطبيعياً أن له مولى وهذا يجعله يشعر براحة وانشراح وسعة واتساع إلى الأعمال الصالحة وضيقاً لبعده عنها وحتى لو حاول أن ينسجم مع هذا الضيق لا يستطيع ويصاحبه هذا الضيق في الدنيا والآخرة ، بل أنها تشتد وتشتد كلما تقطعت بهم الأسباب في عالم الآخرة .

كيف يكون الإنسان إنسانا

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها * قد افلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ هنا سؤال في الآية الكريمة، ذكر الفجور الذي هو نتيجة للدس أولاً وفي الثانية ذكر التزكية ولم يراع الترتيب ،أي لف ونشر مشوش كما يسميه البلاغيون ، الآية تقول ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾، تقدم الفجور على التقوى ثم تقول ﴿ قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وتقدم الفلاح على التدسية ، الطبيعي أن تشير إلى أن طبيعة الإنسان العادي بشكل ابتدائي تظهر فيها الميولات الغريزية أولاً والميولات المادية التي هي سبب الشر و كأنما اصل الغريزة الحيوانية ليست شراً وأن في الإنسان بذور مختلفة توجد فيه منذ الولادة وأول هذه البذور ظهوراً وتفتحاً هي الميولات الطبيعية المادية لدى الإنسان ، وهذه الميول لا تؤدي إلى هلاك الإنسان إلا إذا أساء الإنسان استخدامها ،فقد تتحول إلى فجور .

بعض الميولات المادية يمكن أن تغذي الشئون الروحية ، فقد يكون هناك تصرف مادي ١٠٠٪ ومع ذلك فيه طاعة لله ، لو دعاك أخوك المؤمن إلى وجبة طعام أحيانا قد يكون دافعك لإجابة الدعوة إرضاء لصداقته ، وأحيانا لأنك تحب طعامه ، وأحيانا تجيب دعوته لأن إدخال السرور على المؤمن يفرح ملائكة الله ،عندما تكون استجابتك حقيقة بهذا العنوان ، أي لذة ستشعر بها سيكون نتيجتها تمدد واتساع لروحك وزيادة لتقواك .

أما ميولات الخير فهي تتفتح في سني المراهقة ، الميل للطاعة الميل للعبادة ، الميل للأخلاق ، الميل للكمال ،وأيضا هي لا تتفتح بنفسها وبشكل تلقائي ولكن تحتاج إلى مربي ومعلم، في الحقيقة الإنسان يولد مشروع بناء إنسان ، عندما يريد الإنسان أن يبني بيتاً يرسم خريطة لهذا البيت ويحدد العمال والمواد التي يحتاجها لبناء البيت ، وكذلك الإنسان عندما يولد لا يولد إنساناً ، إذا اختار وسعى وبنى وإلا فهو مجرد مشروع إنسان ولم يصبح إنساناً بعد .

هذا المشروع أول ما يتفتح فيه عوامل لو استخدمت في الباطن بطريقة واعية أدت إلى النهاية المرجوة ، هذه العوامل ليست من طبيعتها وشأنها أن تؤدي إلى الفجور والانحراف ، حقيقة البذور الخيرة موجودة لكنها تحتاج إلى خبرة ووعي وإلى عقل يتفق مع هذه البذرة ، وعادة وقت العقل والتعقل والإدراك والتأمل وإعمال النظر واستخدام الفكر يكون وقت البلوغ وفيما بعد البلوغ .

عندما نطلب من طفل صغير أن يقوم بأعمال عبا دية فوق طاقته ، أعمال لا يدركها ولا يدرك ما لمقصود منها نشتبه إذا اعتقدنا أنها تترك في نفسه أثراً ، نعم نشجعه على العبادة ، نوجهه نحوها ، لكن لا نحمل الطفل على شيء ليس له ميل فيه .

عندما تقدم الآية وتؤخر في النتيجة تريد أن تقول أن بذور الشر في الإنسان تبدأ أولاً ثم بعد سنين معينة تتفتح بذور الخير لكن العمل الاختياري الذي ينمي بذور الخير الذي هو التزكية يذكر أولاً، نفس فعلية الفجور غير وجود دواعيه بالقوة بمعني أن كون البذرة موجودة لا يعني وجوب تحولها إلى عمل ظاهر وواقعي ، حقيقة هناك بذور ولكنها هامدة لم تتحرك ،أولاً يدرك الإنسان ثم يحاسب بعد إدراكه ، أولاً يميل ثم يختار.

يجب أن يتوسط بين وجود بذور الفجور ونفس الفجور شيطنة ، خبث ، إنها مشروع ميول ، ومن لطف الله على الإنسان أن هذه البذور مرتبة بحسب عمر الإنسان بحيث تتفتح مع تزايد وعيه فيستطيع اختيار الحسن وتزاحم ميوله الخيرة الميولات السيئة بحيث لا يعشق ولا يحب إلا الصالح وكلما كبر الإنسان إيمانياً كبرت هذه الميولات معه .

الشيخ إلهي قمشيء أحد مدرسي الشيخ جوادي واحد العلماء المجتهدين الذين يدرسون العرفان ، كان قد كتب قصيدتين في محبة الله والوصول إليه تعالى ، و في أحد المؤتمرات أعطى هاتين القصيدتين إلى جمع من العلماء وقال لهم لقد كتبت إحدى هاتين القصيدتين وأنا شاب صغير السن والأخرى وأنا عجوز ، فأي القصيدتين كتبتها في شبابي ؟

قرأ العلماء القصيدتين فوجدوا إحداهما مملؤة بالهيجان الشديد والحب والوله والإحساس بلطف الله في كل ذرة من ذرات الكون ، والثانية فيها محبة لله معتدلة ومتوازنة ، فقال العلماء القصيدة الأولى كتبتها وأنت شاب والقصيدة الثانية كتبتها وأنت عجوز بعد أن عجزت روحك .

فقال الشيخ أن الأمر عكس ما تقولون القصيدة الأول التي كنت بها نشطاً وعاشقاً كتبتها وأنا عجوز والقصيدة التي كتبتها وكنت فيها متعقلاً كتبتها وأنا شاب لأني كنت اعتقد أن لطف الله بي في هذا الحد ولكني كلما كبرت شَبَّتْ فيّ محبة الله ورأيت أن هذه البذور تفتحت وشعرت بأنني غارق في هذا االعفو وهذا اللطف .

في تفسير الميزان عندما يتحدث عن تفسير الآية التي تتحدث عن خطيئة آدم يقول : لو لم يخطئ آدم لهلك ولو بقي في مهبطة هلك ولو بقي في الجنة

هلك ، ثم يقول متى كان لآدم أن يدرك عفو الله ولطفه وتجاوزه لولا ما حدث .

كلما كبر الإنسان امتد لطف الله ، كلما اخطأ الإنسان كلما كان بحاجة لله اكثر ولرحمة الله اكثر ، وتلطف الله عليه اكثر ، من عادة الكريم انه إذا جاءه سائل وكان هذا السائل شديد الفقر يزيد في العطف عليه والعطاء له فكلما شعر الإنسان حقيقة بفقرة واحتياجه لله ازداد الله له عطاء ، في دعاء الافتتاح نقرأ : (يا من لا تزيده كثرة العطاء إلا جودا وكرما) هل هناك شيء يمكن أن يزيد عطاء الله الكامل ؟

أن الله تام كامل لا يزيد كماله شيء ، لكن كلما أعطى الله أكثر ظهرت رحمته بالإنسان اكثر كمن يشاهد قبساً من نور مغطى بعشرين حجاباً كلما ارتفع حجاب من هذه الحجب ازداد ظهور النور ، هذا النور في الواقع لم يزداد بالنسبة لنفسه لكنه ازداد بالنسبة للناظر من الخارج ، لذلك نقول يا من لا تزيده كثرة العطاء ، لذلك كلما كان شعور الإنسان بالفقر أكثر كان عطاء الله متناسباً مع هذا الفقر ، لذلك من المفروض أن لا تشيخ روح الإنسان كلما امتد به العمر لأن هذا ليس من صفات المؤمن ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾[٥٩] يقول الإمام الصادق (ع) في تفسير معنى فتية بما معناه : انهم لم يكونوا شباباً صغار السن حتى يزيدهم الله هدى لشبابهم وقابلياتهم إنما كانوا شيوخاً وكان الإيمان فتياً في قلوبهم] هذه فتوة الروح التي لا تشيخ أبدا .

لذلك هذه البذور مثبتة في النفس وموزعةومرتبة بحيث تتكامل كلما سقيت بماء التقوى ،وكلما نمت كلما تطلبت تقوى اكثر ، وكلما أعطيتها تقوى كلما

---

[٥٩] سورة الكهف - ١٣

نمت ، وهذا اصل أصيل موجود في القرآن ، وتركيب إلهي مودع في الإنسان ، لكن نحن لأن تربيتنا ليست تربية سماوية بل تربية أرضية تعلمنا أن نتعامل مع النفس اكثر من تعاملنا مع الأنبياء والقرآن بل لم نتعامل مع القرآن بمستوى رسالة تصلنا من صديق عزيز ، رحمة الله سبقت غضبه ، وهذا قانون مطلق ، بمعنى أن كان هناك غضب من الله فتأكد انه أتتك قبله أفواج من الرحمة ولكن أفواج هذه الرحمة لم تمنعك من الفجور لذلك غضب الله عليك انتصاف وتنصف .

هناك توسط ، الآية تقول ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ إلا إنها تقلب بعد ذلك وتقول ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ لأن التزكية عمل اختياري عن وعي و ﴿ قد خاب من دساها ﴾ لأنه ليس موضوعها، هي لا تشجعك حتى يكون هذا موضوعها ، موضوعها هو التزكية بالأصيل وبالعارض ،حتى تبين ضرر التدسية وانه ضرر لا يتدارك ولا يحتمل ولا يحل ، لذلك تقول أيها الإنسان التدسية مضرة بك وكلما حاولت أن تنسجم معها كلما أثرت عليك اكثر حتى تعتاد السم ، والذنب سم ، وليس هناك سم يترك الإنسان ، وكلما اعتدت عليه اكثر كلما اقتضتك العادة أن تذنب اكثر حتى يصبح ارتكاب الذنوب من طباعك .

في البداية قد تُهين مؤمنا فيؤلمك قلبك ولكن مع تكرار ذلك يصبح هذا طبعاً فيك وعادة فتستخف بالناس ، وهكذا تتدرج في الذنوب والشيطنة ، في البداية تكون هذه المسائل تجري بشكل سري في نفسك وتحاول أن تخفيها عن روحك حتى تجهل في الأخير حقيقة روحك لأنك شوشت جهاز الإرسال الموجود في داخلك ، عطبت جهاز الإنذار في نفسك ، فتشوش طريق الحق

أمامك لم تعد تستطيع التفريق بين دوافعك الخيرة وميولاتك الفاجرة ، اختلط عندك الحسن مع السيئ ، طاعة الله نور ولا يوجد أحد يجد في قلبه هذا النور ولا يحس به ولو بشكل ضعيف ، من ينكر ذلك يكون مغالطاً لنفسه ولكن عندما يغرق الإنسان في ظلمات بعضها فوق بعض لا يكاد يرى النور ، والنفس أودية ، تصبح متاهة وظلمات ويختم عليها لا يدخل فيها شيء ولا يخرج منها بركة .

ملاك الحسن والقبح في العمل

أحد أهم النظريات الأخلاقية هو البحث عن ما هو ملاك الحسن والقبح في الفعل الذي على أساسه يستحق هذا الفعل أن يسمى حسناً وفضيلة وتزكية وتقوى ، أو يؤدي إلى أن يهوى الإنسان أو يتناقص بهذا الفعل .

لهذا البحث مقدمات كثيرة تنتهي إلى نتيجة وهي : أن الكمال النفسي كمال حقيقي له وجود واقعي في الخارج ، وليس كمالا اعتباريا ، بل أنه حتى الآيات التي تتحدث عن إعطاء الآجر لا تقصد أن الله يأجر الإنسان مقابل هذا العمل ، فالقرآن لأنه في مقام تعليم يعطي بعض النظريات الأولية حتى يهيئ الذهن لقبول المعارف والعلوم الأخرى التي هي في مرتبة أعلى من هذه العلوم .

انزل الله القرآن الكريم على مجتمع بدائي بسيط لذلك لو قال لهم مباشرة : أن كل عمل تقومون به له ماهية ، وهذه الماهية ليست هي العمل في الخارج بل الصفة المنتزعة من ذات العمل ، وهذه الماهية المنتزعة من ذات العمل لها نسبة في الروح ، وهذه النسبة في الروح تجامع المرتبة الوجودية التي عليها الروح ، لو قال لهم ذلك لما فهمه هذا المجتمع البدائي ، لذلك قال لهم : إنكم عندما تعملون السيئات فإن لأعمالكم هذه نتائج ، ولكن هناك آيات أخرى فيها إشارات دقيقة إلى أن العمل مرتبط بالباعث النفسي ، وأن اثر هذا العمل مرتبط بالوعي والإدراك وله حقيقة وماهية موجودة في الخارج ولها آثار خارجية، العمل شعاع الروح ، كل أعمالنا انبعاثات من أنفسنا ، هناك

آيات فيها المعنى الأول وآيات فيها المعنى الثاني ، وهذا البحث طويل لكننا نضرب مثالين للتدليل على ما وصلنا إليه .

﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ [٦٠] يقول أهل المعرفة أن أعمال الإنسان موجودة وكل ما هنالك انه في غفلة عنها و إلا لو كانت غير موجودة لا يقال له :كنت في غفلة عنها ، إنما يغفل عن الشيء الموجود واقعاً في الخارج ، المعنى أن أعمال الإنسان لها وجود في الواقع والإنسان غافل عنه ولكن عند الموت يرفع الستر والأسباب عن بصر الإنسان فلا يبقى إلا هو ونفسه وأعماله .

عندها سيكون بصره حديد ، يكون عنده اقتدار ، ليس معنى هذا أن نظره في الدنيا لم يكن حديداً ولم يكن حاداً ، ولكنك كنت في غفلة عنه ، انك تستطيع أن تصل إلى مرتبة كمالية يكون فيها نظرك حديد ، ولكن النظر بهذه الحدة والقاطعية يحتاج إلى أن لا تغفل عن نفسك وعن الله تعالى ، لا يقال عن شيء مغفولاً عنه إلا إذا كان موجوداً .

إذن عندما يقول فبصرك اليوم حديد ليس مفاده انه في هذا اليوم المقطعي بصرك حديد ، وإنما مفاده انك في غفلة _ هنا قضية منطقية _ هناك مقدمتان صغرى وكبرى وهناك نتيجة نعم إذا كنت غافلاً فبصرك مشوب ولهذا وبهذا الأمر ليس عندك حدة ولا قوة ذهنية وليس عندك الفراسة التي جاءت في الروايات (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) .

إذن عندما تكون عندك حدة في البصر وجدية في التعامل مع الله لا تغفل عن الله تعالى، إذن أعمالنا التي نأت بها في الخارج لها واقعية ولها نفس

---

[٦٠] سورة ق – ٢٢

الامرية _ على حد تعبير الفلاسفة _ وليس ما يعطى لنا نتيجة أعمالنا وجهودنا من اجر وإنما هو على حد تعبير الرسول (ص) (إنما هي أعمالكم ترد إليكم) ليس اجر أعمالكم رد إليكم ، هذا أولاً .

ثانياً :استخدام كلمة الفلاح في الآية ، فما هو الفلاح ؟

- **الفلاح :**

نحن نتكلم الآن عن قيد موضوعي أخلاقي دقيق ، للنفس مراتب طولية تشارك فيها النبات والحيوان وللنفس مرتبة طولية خاصة وهي إنسانية النفس ، وفي هذه المرتبة الطولية للنفس يحصل تزاحم في مقام إرضاء الميولات ، وكذلك للنفس شؤون عرضية تتزاحم في مقام الإرضاء فالإنسان من مقام إنسانيته يريد أن يطيع الله ويريد أن يصلح نفسه ،و في طريقه لإصلاح نفسه في هذه الدنيا وسعيه إلى المقامات العالية تعرض له شؤون تزاحمه ، فهو مسئول عن أسرته ، عن مجتمعه ،مسئول عن عمله ، عليه التزامات وواجبات وحقوق يجب عليه أن يؤديها ، وهو مخاطب بها من قبل الله في وقت واحد في عرض بعضها .

عليه في نفس الوقت أن يرضي ميله العبادي ويؤدي وظائفه الاجتماعية ويلتفت لأسرته ، وتحقيق هذه الشؤون على الوجه الأكمل فيه تزاحم ،لأنه عندما يريد أن يرضي ميله العبادي سوف يأخذ من الوقت والطاقة والانصراف وفوق هذا الانعطاف النفسي سوف تنعطف روحه على مقام عبادي ، وكل هذا يؤدي إلى أن تتزاحم بقية الإنعطافات ، وهذا ما يفيده الفلاح ، الفلاح هو الخروج من الضيق ، من الضغط ،الفوز ، الفلاح ، السعادة في القرآن لها معنى واحد هو وصول كل ميولات الإنسان الخيرة إلى

أعلى قمة في كماله ، وهذا لا يكون إلا في الجنة ﴿ فأما الذين سعدوا ففي الجنة هم خالدون ﴾[٦١] إنما نشعر من صحة ميولاتنا شعورا شعاعيا من هذه الصحة ، الله يعطينا طمأنينة وسكينة وهدوء خاطر عندما نطيعه تعالى ﴿ واصلح بالهم ﴾[٦٢] لكن ليس هذا نهاية ما تطمع إليه الروح من اللذة ،الروح لديها التذاذ بالقرب من الله ، الروح لديها أشواق تغرق النفس لو تجردت وجمعت كل قواها لو استطاعت في طاعة الله لالتهبت النفس من هذا الالتذاذ لأنه يسانخ النفس ويساويها ، فتتحد النفس مع العقل والعواطف والتصورات .

المسائل المادية وشعور الإنسان بالتلذذ بها :

لماذا لا يشعر الإنسان باللذة الكاملة بالمسائل المادية ؟

لأنه يشعر أن عقله يناقض هذا الالتذاذ ، كذلك لا يشعر الإنسان بقمة اللذة بالمسائل الروحية لأن بعض قواه المادية مشغولة بالمسائل المادية لذلك لا تجتمع قواه الإلهية في هذه المرتبة من الكمالات ، هناك مزاحمات كثيرة ، خليط كثير يمنع الروح من أن تتحد بشكل قوي على طاعة الله فتشعر بهذه اللذائذ المعنوية المجردة تماما عن الماديات ، في هذه الدنيا لا يحصل هذا ، الدنيا دار مقدمات وماهيات ، دار تزاحم ، دار وجود الماديات ، الناس ، الأهل ،المجتمع والأنس بهم ، كلها شواغل ، أما في العالم الأخر عندما تتقطع الأسباب لا يبقى إلا تجرد الروح عن كل حاجة دنيوية مؤقتة .

---

[٦١] سورة هود – ١٠٨

[٦٢] سورة محمد – ٢

من خواص الجنة أن اللذائذ المادية التي ينالها العبد فيها هي بنفسها تؤدي إلى التذاذ كل الجوارح المعنوية ، فاكهة الجنة تغذي روح الإنسان ، لأنها دار سعادة ، دار التخلي عن القيود والخلاص من المزاحمات والانعتاق من الضيق ، دار فيها لهيب من الشوق ،دار فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا اعترض على خيال بشر ، كان هذا دليلا فلسفيا .

أما الدليل القرآني : ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ [٦٣] معنى الآية أن الإنسان في الجنة إذا اشتهى شيء أو تمناه مهما كان هذا الشيء ،يصل إليه ، ولكن هناك زيادة من الله تعالى شيء لم يستطع خيال الإنسان أن يصل إليه أو يتصوره، إذا أراد الإنسان شيئا أولاً يتصوره في ذهنه وخياله ولكن هناك مستوى من السعادة واللذة والراحة لا يستطيع الإنسان أن يشاءه ولا يقدر أن يتمناه لأنه لا يستطيع أن يتصوره والتصور أرضية الإرادة والمشيئة .

معنى الفلاح هو خلاص الروح من كل هذه القيود وانطلاقها إلى هذه المراتب التي لا يقيدها شيء غير قمة لهيبها في اقترابها من جوهر وجودها اشتداداً ووجوداً وحضوراً في ذروة كمالها اللائق ، عندما تجتمع كل قوى الإنسان في مرتبة واحدة فلا يوجد ضيق ، خلافاً للتدسية التي تجعل الإنسان في ضيق في الدنيا وأثناء الموت وفي القبر والآخرة عندما تستقبله ملائكة وصفهم الله تعالى ﴿ وإذ يتوفى الملائكة الذين كفروا يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الحريق ﴾ [٦٤] الملائكة الموكلون بأخذ أرواح هؤلاء الذين دسوا على أنفسهم في الدنيا ، عند نزع أرواحهم يضربون أدبارهم لأنهم لم يحققوا شيئا

---

[٦٣] سورة ق – ٣٥

[٦٤] سورة الأنفال – ٥٠

في هذه الدنيا ولم يستغلوا فرصتهم والملائكة الذين يستقبلون أرواحهم يضربون وجوههم لأنهم لا صلاحية لهم لدخول هذا العالم الآخر ، ملائكة تضربهم لإخراجهم من الدنيا وملائكة تضربهم لإرجاعهم إلى الدنيا .

﴿ ولا يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [٦٥] كل ما في السموات والأرض جند لله ، يقول الأمير (ع) : جوارحكم جنوده) إذا كانت جوارح الإنسان جنودا لله وهذه الجوارح مكلفة بأن تعذب الإنسان فمعنى ذلك أن يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ﴿ يأتيه الموت من كل مكان ﴾ [٦٦] من كل مكان عليه ضغط ، عليه عذاب الموت ، بعض الناس يأتيهم الموت من مكان واحد ولكن من تكون جوارحه ساخطة عليه ، من يخاطب بقوله تعالى ﴿ أن الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴾ [٦٧] يشعر البعض يوم القيامة بمقت لنفسه وتأنيب للضمير وبأن ضميره جندي ضده فيكره نفسه ولكن مقت الله له اكبر من مقته لنفسه ، ولأن الله اقرب للإنسان من حبل الوريد فمقته يحرق وجود الإنسان ويشكل هذا ضغطاً شديداً على الإنسان ولكن هناك أيضاً ضغط أخر فوق هذا الضغط يشعر به الإنسان يأتيه من كل مكان في جهنم ﴿ هي مولاهم ﴾ [٦٨] .

---

[٦٥] سورة المدثر - ٣١

[٦٦] سورة إبراهيم - ١٧

[٦٧] سورة غافر - ١٠

[٦٨] سورة الحديد - ١٥

هناك قانون في الجنة وفي جهنم وهو أن النعيم الذي يناله أهل الجنة والعذاب الذي يناله أهل النار غير مقيد وغير محدود وغير متناه ، والإنسان محدود ومقيد ومتناه ، لدى الإنسان قابلية تصور اللذة ولديه قابلية أن يعيها ويتمناها والله سبحانه يعطي الإنسان ما يشاء وفوق ما يشاء ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾[٦٦] هذا المزيد معناه حل القيود والحدود والمحدودية الموجودة في الروح بحيث تغرق الروح في نعيم الجنة .

والفلاح هو الخلاص من الضغط ، من المحدودية لذلك في الجنة ملائكة الله لهم خدمة لعباد الله الصالحين فهم ليسوا فقط يعطونهم ما يريدون ويرجون بل يعطونهم فوق ما يرجون ، وكذلك جهنم ﴿ هي مولاهم ﴾ معنى أن يلي شخص شخصاً أخر أن يلي من أموره ما لا يليه هو نفسه كمن يكون مثلاً ولياً لطفل صغير فهو يفكر لمستقبل هذا الطفل ويخطط له حياته وعندما نقول النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم معناه أن المؤمنين موكلون بأنفسهم ولكن هناك حائل بين أنفسهم وبينهم وهي ولاية الرسول (ص) أولا يلي رسول الله شؤونهم ثم يعطيهم إياه ، والنار عندما تكون مولاً لأهل جهنم فهي تتولى شؤونهم وأمورهم وجهنم ليست دار رحمة وعطف عندما تتولى جهنم أمر إنسان فهي تتولى حتى اختيارات هذا الإنسان وتصوراته وخواطره ، كل خاطرة تخطر على أذهانهم من أشكال العذاب تتحقق بمجرد تصورها وهذا العذاب ينشئ تصورات لعذاب اشد يتصورها الإنسان وبمجرد تصورها

---

[٦٦] سورة ق - ٣٥

تتحقق أيضا وهكذا ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ ﴿ ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾[٧٠] .

إذن في الجنة أحيانا الملائكة تتولى خواطر الإنسان وأحيانا الله سبحانه وتعالى يتولاها وأحيانا أولياء الله الصالحين الذين هم أعلى منا أفقاً وأوسع إدراكاً يتولون هذه الخواطر فيربونها فتكون هذه الخواطر اعمق من إدراكنا ثم عندما نصل إلى هذا العمق والإدراك هناك أيضا مزيد .

أما في جهنم ﴿ ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ ﴿ جزاءً من ربك عطاء حسابا ﴾[٧١] أهل جهنم يأتيهم جزاء أعمالهم ﴿ جزاءً من ربك ﴾ أهل الجنة علاوة على انه حساب فهو أيضا عطاء ﴿ عطاءً حساباً ﴾ أي موافق لما عندهم ،إذا أدركنا هذا المعنى نفهم معنى الرواية (يا علي أنا مدينة العلم - وهي الجنة - وأنت يا علي بابها) إذن في ذلك العالم يكون الفلاح والنعيم الأبدي السرمدي الممتد الخالد من كل حيثٍ فيه الإنسان ليس المقصود خلود بقاء وإنما استمرارية ودوام تزايد وكذلك في جهنم استمرارية ودوام تزايد لذلك الذين في جهنم يصطرخون ويتعذبون يأتيهم الموت من كل مكان .

هذا هو الفلاح وهذه هي التدسية ، هذا الضنك يرافقهم من لحظة ارتكاب المعصية وهذا الضنك لا مخرج منه كما أن المعصية لا مخرج منها ولا خلاص ، أما العمل الصالح الذي عمله الإنسان في هذه الدنيا ولم يستغرق عشر دقائق والتذ به الإنسان في الدنيا فإنه أعقب سعة وحلاً من القيود .

---

[٧٠] سورة النباء - ٣٠

[٧١] سورة النباء - ٢٧

الفلاح هو الخروج من الضيق ،والتدسية هو طوي ما في النفس من الخبائث وتجميعها ثم إخفائها في النفس ثم تفجير النفس – والعياذ بالله – بحيث تكون جهنم هي مولاه وكما يقول القرآن كيف يكون حال من تتولاه جهنم !

ميزان الفلاح وميزان التدسية :

حتى يستطيع الإنسان أن يعرف أعماله هل هي ممدوحة أو مذمومة يحتاج إلى معيار وميزان ، يحتاج إلى أصل أصيل يقيس به كل أعماله ، يحتاج إلى معرفة منتهى الكمال الأساسي الذي يجب أن يقيس عليه كل أعماله ، ليرى أنه بمقدار ما يكون في هذا العمل جزء من هذا الأصل الأصيل فهو مقبول ويستحق أن يصرف من اجله طاقته ويبتعد عن هذا العمل إذا كان محتاجا لصرف طاقات كثيرة من اجله وكان منافيا لهذا الكمال أولا يساعد عليه لأن في هذا لغو وإسراف ولا يفيده بالقرب من الله تعالى .

لكي يقيم الإنسان أعماله ويعرف هل عمله هذا مفيد أم غير مفيد ، هل هو لغو أم غير لغو يجب عليه أن يحسب مقدار الجهد والطاقة والوقت الذي صرفه في هذا العمل والمردود الروحي والنفسي والأخلاقي الذي تحصل عليه نتيجة لعمله ويرى هل أشعره هذا العمل بالقرب من الله ؟ ولكن كيف يعرف الإنسان انه قريب من الله ؟

مفهوم القرب الإلهي ليس هو المفهوم الجاف الذي يتصوره الناس ، كل عمل وكل طاقة تصرف تعد ذات قيمة وعليها ثواب وفيها كمال للإنسان إذا كانت مؤثرة حتى الأعمال المادية ، فبالمقدار الذي تكون فيه الطاقة والعطاء والعمل والأفكار والروحانيات مؤثرة في هذا المعنى فهذا العمل ممدوح ، حسن صاحبه ، يعد ذو فضيلة يعبر بنفسه من الرذائل إلى الفضائل .

ارتباط بين الأعمال وآثارها

تبين مما سبق توضيح معنى التزكية والفلاح والرابط بينهما وإن كان في الحقيقة الله هو الذي يجعل المعلول تابع للعلة ، ولكن هذا لا ينفي وجود الرابط بين الوسيلة وذي الوسيلة والعلة والمعلول ، وليس الرابط بينهما اعتبار محض وصدفي، ما أثبتناه واستفدناه من الآيات القرآنية هو وجود الر بط بين الفلاح والتزكية ، ولكن ما تحليلها ؟ وكيف تكون الأعمال التي يمدحها الله موجبة للكمال الإنساني ؟

نحن لا نستطيع اكتشاف هذا الرابط لأن الروابط العلية والمعلولية بين الأشياء تُكْتَشَفُ بالتجربة ، والتجربة لا تنال الروابط التي نتائجها في الآخرة ، في الآخرة نرى نتائج أعمالنا بوضوح أما في الدنيا فإن بيننا وبين نتائج أعمالنا حجب كثيرة كما انه ليس لدينا تجربة واعية بين أعمالنا ومعنوياتنا وروحانيتنا هناك من الناس من يرى الرابط بين عمله وروحه ، ولكن الإنسان العادي لا يرى هذا الارتباط ، فهل هناك طريق أخر غير الآيات الروايات لمعرفة هذا الرابط ؟

الدليل العقلي للارتباط :

العقل هو الطريق الآخر لمعرفة هذه الحقائق ويمكن تقريب ذلك بمقدمات :

المقدمة الأولى :بين السعادة والكمال اتحاد مصداقي ، أحيانا تقول تزكية النفس توجب كمال النفس وأحيانا تقول تزكية النفس توجب سعادة النفس ، ولذا تحتاج إلى توضيح الرابط بين السعادة والكمال وان كانتا تختلفان مفهوما

،السعادة محورها اللذة الأكثر والأطول لذا حقيقة السعادة وعيش السعداء في الآخرة والجنة ﴿ أما الذين سعدوا ففي الجنة هم خالدون ﴾[٧٢] .

أما الرابط المنطقي بين السعادة والكمال :

يقول الفلاسفة أن كمال الشيء تمحضه في ذاته ، ولنعرف هذا المعنى نقول : أصولا اللذة تحصل في ذلك الوقت الذي ينال فيه الإنسان ما يلائم قواه الخاصة ، فمثلاً القوة الامسة تلتذ بالنعومة وتنفر من الخشونة ، والجوع يلائمه الأكل وكذلك لذة الشرب ، فكل قوة لها ما يلائمها بشكل خاص فهي تنال لذتها حين تجد ما يتلاءم معها ، أما حقيقة اللذة فهي إدراك الملائم ، أي الوعي على الملائم ونيله بالتوجه إليه .

اللذة حالة روحية تحصل حين وصول الإنسان إلى الشيء الذي يلائمه ، وايضا هناك مسألة القوى العقلية أو العاقلة لها لذة ايضا ، كل قوة في الإنسان لها لذة ، الباصرة ، السامعة ، الامسة .. والعقل كذلك له لذة إذا أدرك الحقائق المطابقة للواقع فإن فطرته القلبية تلتذ بذلك خصوصاً إذا كان هذا المُتعَقَل يرتبط بالإنسان ، بل اللذة العقلية من أقوى اللذائذ الإنسانية والتي على أثرها قد ينسى الإنسان بقية اللذات .

المقدمة الثانية :

ليس هناك شيء يلائم وجود النفس ككمالها ، ليس هناك شيء يلائم الوجود أكثر من نفس الوجود وهذا معنى العبارة القائلة (كمال الشيء محوضته في ذاتياته) نحن حين نفكك حيثية الوجود عن حيثية الكمال ، أي نتصور الوجود

---

[٧٢] سورة هود – ١٠٨

شيء والكمال شيء أخر بازائه الوجود شيء والكمال شيء إضافي ، ولنضرب لذلك مثلا : كل موجود ذو حياة مادام يملك القدرة والاستطاعة فهو يسعى لحفظ حياته وهو ينزجر من كل ما يشين هذه الحياة ويعيبها وكل ما يعرضه للنقص والإهانة ولو كان بنحو الملازمة فهو يؤذيه ، وربما يتحمل الإنسان النقائص المادية ولكن لا يتحمل أن يشار له بالنقص الذي يرجع إلى نقص في وجوده وحيثيات وجوده .

فإن الإنسان في الحقيقة إنما يلتذ بكمال نفسه أما الأشياء الأخرى الملبس، المأكل ...الخ فيلتذ بها مع الواسطة ، لأنه يخال أنها تسبب لنفسه كمالا حقيقيا لذلك يلتذ بها ، المال والوجاهات الخيالية ليست لذة للإنسان إلا بمقدار ما تخيل له واهمته .

وفي عين الامر الإنسان لا يلتذ إلا بما يرجع إلى كمال وجوده وليس هناك ما يلائم الإنسان إلا كمال وجوده وهذا يتحد مع السعادة لأن السعادة هي اللذة الاقوى والأثبت ، الإنسان السعيد هو الذي يرى كمال نفسه ولكن بشرط أن تكون هذه السعادة مطابقة للواقع ، سعادة حقيقيةغير متوهمة أو متخيلة ، وبشرط الا يغفل عن هذا الكمال والسعادة ويدركها بوعي هناك في عالم الآخرة حيث لا غفلة ، عالم كله حضور ووعي ذلك لأن الغفلة تنشأ من التزاحمات في عالم المادة ، في ذلك العالم القوى الإدراكية تكون على أشدها لا اهل الجنة يغفلون ولا أهل جهنم ﴿ اسمع بهم وابصر ﴾[٧٣] صيغة أفعل التعجب ، فليس هناك مزاحمات و لا أشياء زائدة مشغلة أو صارفة ليس لأنفسه انعطاف إلى شيء.

---

[٧٣] سورة مريم - ٧٠

والآن يمكن تصور الارتباط المنطقي بين السعادة والكمال ، بين التزكية والفلاح ، ذلك أن التزكية كفعل متعدي له حيثيتان :

١.حذف الزوائد والاشياء المضرة .

٢.الرشد والنماء والفضل والاضافة

نتيجة التزكية (المتعدية) حدوث الكمال والرشد وحذف الضار الزائد المزاحم المشغل وينتج الكمال النهائي الملائم لكل القوى ، وكل هذا موجود في العالم الاخر { لهم ما يشاؤن ولدينا مزيد } لذا من يحصل له في ذلك العالم كمال حقيقي ويرفع عنه النقص فهو أسعد الناس وطبعا الكمال مراتب لذا إذا جاء في الروايات من عمل هذا العمل فهو معنا ، ليس معنى ذلك أن له نفس المقام بالاصالة وإنما المقام الاصيل هو لهم أما الاخرون فضيوف عليهم وبشرفهم وعلى كرمهم يعيشون ، وكم هوالفرق بين لذة المضيف الذي يعيش الأخرون على سفرته وصاحب الدار المكرم والضيف ، لذا هي مراحل ومقامات ، أدنى مرحلة هي دخول الجنة والفاصلة بينها وأعلى مرحلة لا يمكن تصورها ، إلى حد ان الامير (ع) يعد قيام الليل وجهاده وضربتة التي ساوت عمل الثقلين إلى ابد الدهر قليلة وكان يشتكي من قلة الزاد وبعد الطريق .

الخلاصة :

أن هذه السعادة الإنسانية هي توأم والتزكية ، وهي والتزكية قريبة من معنى التربية والتكميل ، ومصداقهما الواقعي شيء واحد ، وحيث أثبتنا أن السعادة هي حصول اللذة الخالدة الخالية من الشوب والألم مع شرط إدراك هذه اللذة والتوجه إليها فلا بد أن نجيب عن سؤال رئيسي :

ما هو الميزان في معرفة الأعمال التي تؤدي إلى هذا الكمال ؟

وللإجابة عليه يجب أن نعرف أن الكمال وإن كان مفهوما بديهيا أو اقرب إلى البداهة ولكن لابد من الإشارة إلى حده المائز له عن الكمالات التي لا تنسب للإنسان .

القرآن يعتبر حقيقة زكاة النفس ورشدها يتعلق بكمالها الوجودي ولتوضيح ذلك يقول : أصل الكمال أن يحصل موجود ما على فائدة أكثر وجوداً والتي لم يكن حاصل عليها من قبل والكمال هو الفائدة الوجودية ، نحن إذا نظرنا إلى الموجودات نرى اننا تطلق الكمال على موجود كان ناقصا ثم وفق شرائط معينة حصل على صفة اضافية كمل بها مثلاً إذا لم يصل عقل الإنسان إلى العقلية ولكن وفق تدريبات وتعليمات معينة أدرك بعض المسائل العقلية حينها يجد شيئا لم يكن واجده من قبل ، هذا يسمى بالكمال الوجودي .

كلنا نفهم أن الوجود يجب أن تكون فيه مزايا ، إنما التكامل للموجود الذي لم يكن كاملاً من قبل ، أما الكامل بالذات فهذا لا يمكن أن يتكامل ، وهذا المعنى بديهي للكمال .

ولكن هناك نقطة مهمة نغفل عنها عادة ، أن ما قد يكون صفة وجودية ومنفعة وجودية لموجود قد لا يعد كمالاً لموجود أخر ، ويضرب لذلك الشيخ مصباح اليزدي مثالاً : بشجرة التفاح أنها لو كانت بمقدار شجرة السدر في قوة الجذور والحجم لما عد ذلك كمالا لشجرة التفاح ، لأن قوة وكثرة جذور شجرة السدر كمال لشجرة السدر أما شجرة التفاح فكمالها شي ء أخر ، لكل موجود كمال لائق به ، المرأة والرجل لكل منهما كمال لائق به مناسب للفارق بينهما في الامور التي يختلفان فيها ومناسب للامور التي يتفقان فيها .

للمخلوقات أبعاد وجودية مختلفة والإنسان أيضا مخلوق ذو أبعاد مختلفة ومجموع هذه الابعاد يتزاحم حين الإرضاء ، فإذا ما قوي بعد تضرر البعد الاخر ، وحقيقة الميزان هو في ما يقوي كماله النهائي حين التزاحم ، يجب أن ينظر للكمال النهائي والاصلي ، بالطبع هناك بعض الكمالات مقدمة ووسيلة لغيرها كالعلم والدرس ، فهي لها قيمة بمقدار ما تساعد على الوصول للكمال الاصلي ، أما إذا اضرت بالكمال الاصلي فهي مرفوضة ولنعمل حسابا لموجود ذو ابعاد مختلفة :

فأولاً : يجب أن يكون مجموع الروابط بين قواه متناسب مع العنصر الاساسي للكمال الواقعي الوجودي ، قوة البدن شرط ، الحس ، الشعور ، الذاكرة ، الفكر ، حواسه الباطنية ، كلها قابلة للتقوية وإذا صرف الإنسان كل عمره يقوي أحد هذه الابعاد فلا يزال هناك مجال لأن تقوى هذه القوىوتشتد ولكن الإنسان الكامل ليس الذي يقوي أحد أبعاده لأن هذا نمو غير متوازن وغير متناسب .

ثانيا : يجب أن يؤثر في الهدف الحقيقي .

ما هو الهدف الحقيقي ؟

و الآن تجمع المقدمات التي ذكرناها ، الإنسان موجود له خاصية ليست في موجود آخر وإذا أردنا أن نجد له شريكاً فهو في الجن ، والوجه المشترك بينهما ، أن حركتهما التكاملية اختيارية واعية ، كلاهما يستطيع أن يقيس بين أمرين ويختار أحدهما ، وهذا الخيار إذا كان واعياً فإنه يوصله إلى مقام لا يصل إليه موجود إخر ، هذا الاستعداد أرضية التكامل ، ثم يهيء النفس لكمالها المطلوب ، أولاً يبحث عن كماله النهائي ثم يصل إلى ظرفية كمالية

وجودية تسمى في الإسلام بالقرب من الله هذا المقام أشير إليه في الآيات ﴿ رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ﴾[٧٤] يصل ألى القرب و التقرب ﴿ واسجد واقترب ﴾[٧٥] وهذا هو الهدف الحقيقي .

القرب من الله

هناك معنى عرفي للقرب ، مفهوم القرب في المحاورات العرفية عادة يستخدم في القرب المادي حيث الحديث عن عدم وجود فاصلة بين شيئين .

وللقرب عدة معان منها القرب المكاني والقرب الزماني ، القرب المكاني هل هذا المراد من القرب من الله ونحن نعلم أن الله الذي ليس بجسم لا يمكن أطلاق هذا النحو من القرب عليه ، القرب الاخر القرب الزماني إذا قرب العهد وهذا ايضا ليس هوالقرب المقصود لأن الله الذي يحيط بالزمان لا يمكن اطلاق القرب عليه بهذا المعنى إضافة إلى أن قرب العهد وقرب المكان لا يعد كمالاً.

المعنى الثالث للقرب : الإنسان قريب من الله المقصود أن الله يستجيب دعاءه ويتقبل شفاعته ويقضي شئونه ، وليس هذا معنى القرب لأن هذا المعنى اعتباري ليس معنى ذاتياً واقعياً حقيقياً وجودياً، ونحن نتكلم عن حركة وجودية واقعية إذا تحرك فيها الإنسان وجد أثرها في نفسه واستجابة الدعاء وإن كانت

---

[٧٤] سورة التحريم - ١١

[٧٥] سورة العلق - ١٩

أحد لوازم القرب من الله ،لكنه بالدقة الوجودية التكاملية للروح ليس هو معنى القرب من الله .

واحد معاني القرب المقايسة بين شيئين من جهة الخصوصيات والكمالات،عبر البعض عن القرب من الله بهذا المعنى،وهذا المعنى غير صحيح فالإنسان حينما يتخلق باخلاق الله يتشبه به ثم يكون قريبا منه ولكن هذا تعبير تسامحي ، ذلك أنه أولا الله ليس كمثله شيء .

ثانياً: هذا النوع من المقايسة يمكن أن يكون بين موجودين كل منهما مستقل عن الآخر ، كعالمان مثلاً يقاس احدهما بالاخر ،كل منهما ليس شعاع للاخر وليس مرتبطاً به او محتاج إلى الآخر في وجوده ولو أخذنا هذا كمقياس نطبقه على علاقة الإنسان بالله نجده غير صالح لأن كل موجود له شأن من المحدودية والتناهي ولا أقل في استقلاله الوجودي فهل يمكن قياس المتناهي بالا متناهي و المحدود والا محدود ، الإنسان مهما تكامل فهو محدود مقهور بحده بل حتى في المجردات التي ليس بينها ترابط وجودي والتي ليس احدها علة للأخر ،هذه مقايسة خاطئة لأن مرتبة وجود الله ليس شيئا قابل للمقايسة ،أي استقلالية للإنسان في قبال الله ، ماذا يملك الإنسان من الذات والعمل يستقل به عن الله أي شيء في الإنسان هو خير وواقعي ليس من الله حتى نقول أن الإنسان يشبه الله ، كل خير في الإنسان ليس منه ،الخير الذي فيه خير ربطي جاءه من الله تعالى ،كل قدرة وكل كمال للإنسان فهو من الله، الله ليس كمثله شيء والأهم من هذا أن كمالات الله غير محدودة.

أن الإنسان الذي يصل إلى مقام القرب أن وجوده يصبح أكمل وأشد وأقوى ولكن ليس بحيث يستقل عن الله بل بلسان العرفاء يفنى في الله ، يصل إلى مقام الفناء ، وهنا نقطة اختلاف بين الحكماء والعرفاء ، العرفاء يقولون أن

الكمال يعني الفناء والحكماء يقولون أن كمال الإنسان أن يكون وجوده أشد واقوى فكيف يمكن الجمع بين القولين؟هل هذا إلا تناقض لأن الفناء يعني العدم والنقص ، غياب حتى الفناء والحكماء يقولون اشتداد قوة وكمال وجود . والحقيقة أن كلا القولين صحيح ، وإن كان في كلامهم متشابهات نرجعه إلى المحكم من اقوالهم التي هي أم كتبهم وأمهات الوسائل الواضحه نوضح ذلك بمثال يضربه كلا الفريقين :

المرآة عندما تكون كدرة تعكس الصورة ولكن بشكل مبهم غير واضح ، أما إذا كانت المرآة صافية فهناك لا يبقى فرق بين الصورة والمرآة ، لا فاصلة بين الواقع والمرآة الصورة في المرآة الثانية بلا شك أصفى وأوضح من الصورة في المرآة الأولى فهي أكمل من هذا الحيث ، أما من حيث أخر وجهة أخرى فهي أكثر فناء بحيث لا يبقى للمرآة وجود تفنى المرآة وتبقى الصورة هي التي تسطع على سطحها ، حينما ترى المرآة تنسى الصورة ، فبالقدر الذي يصفى الإنسان وينسى أنيته وهويته من جهة ظهور الأثار الإلهية فيه يضعف توجهه لنفسه وخصوصياته ، ومن جهة أخرى يجب أن تقوى ارادته ويكمل علمه وتعلو همته عن سفاسف الأمور ، يقول بعض العرفاء بأن النبي (ص) وصل إلى مقام الفناء ، ما هو مقام الفناء ؟ هل يعني أنه لا يبقى للنبي وجود ؟

أم هو فناء في مقام الشهود بحيث يكون ليس في ظرف إدراكه شيء من أنيته ، ليس هناك شيء غير شغله بالله ، هناك بيت شعر للإمام يقول :

فارغ أز خداشد وكومه انا الحق بزنم

أي فرغت من نفسي لم يبق مني أو ذاتي ، لذا اصرخ أنا الحق ، ليس يعني أن المخلوق يصبح الخالق والعياذ بالله ، إنما لايبقى منه شيء ذاتي وهذا

يلحظ حتى في شئون المحبة المجازية ، وهذا ما يسمى في الادعية بالتجلي الاعظم بحيث يشهد بعين قلبه الارتباط بالله ، وليس معنى التجلي الأعظم أو مقام الوحدة أن ليس هناك إلا الله والاشياء الباقية أوهام ، ليس الأمر كذلك بقية الأشياء مرآيا وليست بسراب ، السراب وهم وخيال ، لا يرى الواقع ، ولكن المرآة صادقة وترى الواقع ، ولكن إذا كملت وصفت لا يبقى منها إلا انها مرآة وآية ،يقولون تتمحض في المرآتية .

تعابير العرفاء الإلهيين وان كانت متشابهه فهي من باب ضيق الالفاظ عن المعاني وسعتها ، وهذه ليست إلا تعابير ادبية لاظهار أنهم في مقام الإدراك والشهود يصلون إلى مقام لا يتوجهون فيه لغير الله ، ولا يرون شيئا غيره ،ومن هذه الجهة لا يبقى فيهم كدورات شخصية وبلسان الشرع هم من الله اقرب وبلسان الحكماء والفلاسفة فإن كمال النفس تجرد الروح حتى لا يبقى في الموجودات أعلم منها ولا أقدر منها وهذا هو كمالها وهناك معنى أخر للقرب في القرآن وهو ان الله يقول أنه قريب لكل موجود حتى اقرب من اجزاء الموجود لنفسه ﴿ نحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾[٧٦] ولكن هذا كون نفهم من الآية قرب وجودي لا اختياري ولا يحصل بالاعمال العبادية هذا قرب عمومي لكل الاشياء وتتساوى فيه كل الاشياء وكل الناس إذا ما القرب الذي يحصل للخواص ؟

عندما أراد الحكماء والفلاسفة الإلهين أن يأتوا بمثال للعلاقة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى ، بين الفقر المحض المتعلق بجميع شئونه بالله تعالى ضربوا مثالا بأنك أيها الإنسان لو استطعت أن توجد في ذهنك صورة ذهنية – هذه

---

[٧٦] سورة ق–١٦

الصورة الذهنية بينك وبينها علاقة بحيث تكون أنت السبب [٧٧] في إيجادها ولو انك إذا أعرضت عن هذه الصورة لحظة واحدة تتمحي هذه الصورة لأنك أنت علة إيجادها ، مجرد إعراضك عنها عدم توسطك ، عندما ينقطع عنها تصميمك وإرادتك تتمحي الصورة ، لأن العلاقة التي بينك وبين الصورة ليست علاقة اعتبارية بل علاقة واقعية ، أنت السبب في إيجادها ، أنت العلة المريدة لإيجادها ، علاقتك بهذه الصورة شبيهة بعلاقتك مع الله تعالى ، علاقة الإنسان بالله علاقة لا يمكن للإنسان أن يقطعها أو يرفضها أو يخرج منها ، قطع هذه العلاقة تعني أن تكون عدماً مثل أن تغمض عينيك فتتمحي تلك الصورة التي أوجدتها بذهنك ، هذا لعطاء الدائم يعني أن الله خالق ليس لمرة واحدة وإنما يخلق دائما نحن بحاجة إلى خلق و الله سبحانه وتعالى يمدنا بالخلق وإلا لما كان الله علة إيجادية ونحن معلولين محضين ،هل معنى القرب من الله تعالى هو هذا الإحساس بهذا الرابط الوجودي أو كون الله تعالى اقرب إلينا من حبل الوريد يعطينا وجوداً دائما ؟

---

[٧٧] هناك نسبة بين كل علة ومعلول ، هناك علة معده وهناك علة موجدة، الإنسان لا يستطيع أن يوجد شيئا من العدم ، إذا توفرت المواد الأولية يستطيع الإنسان أن يوجد شيئا إذا توفر الخشب والمواد الانرمة استطاع الإنسان أن يصنع كرسيا مثلا فيكون علة وجود الكرسي او علة وجود الكتاب او علة وجود هذا الطفل الإنسان ليس علة ايجاد من العدم ﴿ افرأيتم ماتمنون ﴾ الواقعة –٥٨ أأنتم عملكم الإنماء ونحن عملنا الخلق ﴿ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ وهناك علة معدة كالماء علة الانبات ، الماء لم يجعل في روح النبات الحياة ، الذي جعل الحياة في الماء هو الله لكنه علة معدة ناقصة ، لا يوجد في هذا الكون علة إيجادية غير الله تعالى ولكن الحكماء ضربوا هذا كمثال لتقريب المعنى

هذا النوع من العلاقة موجود بين كل الموجودات وبين الله سبحانه ، بدرجة واحدة يعطي الله كل الموجودات وجودها ، حتى الكافر قريب من الله بهذا المعنى ، إذن ليس هذا هو المعنى المقصود من القرب .

معنى القرب الإلهي

المعنى الصحيح للقرب من الله تعالى : هو أن للنفس كمالا وتصاعداً يتناسب وينسجم مع معرفتها بالله تعالى ، كمالاً اختيارياً ، أعمال الإنسان ، تصرفاته ، عقائده ، بما أنها ممتزجة مع روحه وبما أنها هي وروح الإنسان شيء واحد ، إذا تحرك الإنسان بهذه العقائد وأطاع الله ، إذا صلى وتقرب ، هذا يدفع الروح حتى تتلبس بهذه العقائد وتخرج هذه العقائد من القوة إلى الفعل فينمو هذا الإنسان ويتزكى ويرتفع وعندما يرتفع يشتد جوهر الروح ويصفو وتقترب الروح من النورانية وتجد هذه النورانية في نفسها آية النور تشتمل على مثال ضربه الله ولو لم يذكره الله فليس لأحد أن يعرف معنى القرب الإلهي لأنه حالة شهودية مالم يصل الإنسان إلى حقيقتها لا يمكن أن يفهمها ، وهي ليست من قبيل المفاهيم حتى يمكن توضيحها بحدود ، هي حالة إدراك وجدانية يعرفها أهلها ولكن هذه الآية مثال لهذه الحالة :

﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنه كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ﴾

﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ ثم لتوضيح الرابط بين الله والسموات والارض قال ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ﴾، لا مثل الله ، الله سبحانه جل عن أن يضرب له مثل .

النور يشع من منبع النور ويعبر من الزجاجة لشدة صفائها ﴿ كأنها كوكب دري ﴾ عظيم كثير النور والكوكب الدري هذا الموصوف به الزجاجة فإن الزجاجة تزيد لمعان النور المتقد في المصباح ، ويزداد اشراق النور لأن الزجاجة تسكن النور عن الاضطراب والحركة لأنها لو لم تكن في زجاجة لتأثرت بالهواء وتموجه وحركة الرياح ، فهي كالكوكب الدري في تلاليه وثبات نوره اما اشتعال المصباح فهو بزيت شجرة ليست موسمية الاستفادة من هذا النور لأنها لم تقع في شرق الأرض ولا في غربها حتى تتأثر بحركة الشمس أول النهار ثم تقع تحت الفيء أخر النهار فلا يساعد ذلك على نضج ثمرتها وصفاء دهنها الذي يؤخذ لإضاءة المصباح ، وصفاء هذا الدهن بحيث يضيء ولو لم تمسسه نار ، ونور هذه الزجاجة مع كمال لمعانه عليه نور عظيم ايضا ، فهو نور متضاعف ، الزجاجة صفر اليد ولكن صفائها وعدم تكدرها وخلوها من أي شيء غير النور المنبعث من المصباح وليست إلا معبرا لهذا النور .

والآن لاحظوا النور العابر من الزجاجة كلما كان أقرب من مصدر النور فإن المحيط الذي حوله أكثر نورانية وكلما ابتعدت اشعة هذا النور عن مصدر النور فإن الشعاع يغيب في الظلمات وتدريجيا ينمحي وينعدم بحيث لا يرى ، في القرب اشتداد النور وزيادته لارتباطه بمصدره وفي البعد ظلمات وغرق في العدم وهذا مثال عرفي بحسب أدراك الناس والآن لو افترضنا أن هذا

النور ، هذا الشعاع النوري يمكن له أن يرجع إلى المركز إلى نور السموات والأرض ، القاعدة أن هذا النور في حالة سيره إلى علو المركزيكون أقوى وأشد لماذا؟

لأنه يأخذ حكم النور القريب من المركز يأخذ حكم المصباح ، في الحديث عن هذا المثال بحث طويل وكلام للعرفاء طويل وإذا قرأتم كتاب السيد الإمام مصباح الهداية يستشهد بهذه الآية ويبين منها موارد التشبيه اروع بيان ، وفيه عشرات المطالب الدقيقة ولولا أن البحث سيكون أدق وأصعب في امثال هذه المجالس لشرحنا وجه التشبيه والتقريب وروائع التمثيل ،ولكن نقتصر على بيان بعض المطالب منها انه يعني أن الأشياء الصادرة من الله لها علاقة وجودية حتمية بالله تعالى ، بعض الأشياء عندها القدرة وإن نزلت إلى الطبيعة عالم الطبيعة ولكن الله كلفها إلى أن ترجع وتقطع هذه العلاقات مع عالم الطبيعة ، أعطى الله الروح هذه النورانية عندما أوجدها وأعطاها القابلية إلى أن ترجع بها إلى هذا النور طاعات الله تعالى ،الأعمال القريبة من الله تدفع ، ﴿ يكاد زيتها يضيء ﴾ يحرق هذه ، لهيب من الشوق يقرب الإنسان من الله .

هؤلاء الذين يذكرون الله وبذكرهم لله ترتفع أرواحهم وتعتلي ويصبح لهم ارتباط أقوى بالذات المقدسة ، نور على نور هؤلاء علاوة على النور الفطري ، النور الإنساني الطبيعي يشتد ويشتد في الإنسان حتى لا يبقى إلا إنسانية الإنسان ونورانيته ، هؤلاء الناس لهم خاصية ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ من الصباح حتى الظهيرة وهم في حالة تسبيح دائم ، ليس معنى هذا أن لسانهم في

حالة تسبيح دائم ، بل جوهر وجودهم ، همهم الجاذب لوجودهم أن يسبحوا لله ويذكروه بالغدو والآصال .

الخاصية الثانية لهؤلاء الناس :

﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ لماذا قال التجارة والبيع ؟ هنا مطلب دقيق جداً:

التجارة هي الملكة هي العمل الدائم وأما البيع فهو الحال والعمل المقطعي ، هناك من يكون انشغاله عن الله مقطعي لفترة محدودة في اليوم كمن يأتيه زبون ليشتري منه بضاعة فينشغل مدة دقائق في عمليه البيع وينسى الله في هذه الدقائق ، وأحيانا يكون الانشغال عن الله ممتد سلوكاً وسيرة ، البيع غير التجارة ، التجارة وظيفة ، والبيع عملية تبادل السلع ، هؤلاء الناس ليس في سلوكهم المقطعي ما يلهيهم عن ذكر الله تخطيطهم لحياتهم المشاكل التي يتعرضون لها في حياتهم لا تلهيهم عن ذكر الله ،ليس معنى هذا انهم لا يعملون ولا يشتغلون وانهم منعزلون اجتماعيا .

في الآية مفهومين :

١.الإشارة إلى الأعمال المقطعية والأعمال الممتدة

٢.انهم أناس ليسوا بعالة على غيرهم ، هم أناس يعملون ويكسبون رزقهم عندهم بيع وتجارة ولديهم مسئوليات لكن كل هذا المسئوليات لا تصرفهم عن الله ، هؤلاء لديهم مسئوليات كبرى في المجتمع ، التجارة والبيع كناية عن هذه المسئوليات وتحريك عجلة الاجتماع.

﴿ في بيوت أذن أن ترفع ﴾ والآن تصوروا هذا النور النازل للطبيعة إلى هذه الأرض إذا أذن الله له ، ومعنى أذن الله ليس الاذن والاجازة الاعتبارية لأن

أذن الله هذا ليس كأذنه لنا بالدعاء وانما بمعنى رفعها وكما يقول الشيخ جوادي هو نفس الرفع هو الدفع العملي للرفع ﴿ في بيوت ﴾ هذه البيوت اذن الله لها أن ترفع إلى مصدر النور ولا فاصل لها لا بيع ولا شراء ولا تجارة ، لا شاغل ولاكدر عن إقامة الصلاة التي هي معراج الروح (الصلاة معراج المؤمن) وهي المطية اللقرب لأنها كما في الرواية (الصلاة قربان كل تقي) ومع هذا العلو والرفعة {يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ﴾ .

هؤلاء الناس الموجودين في الخارج الذين أرواحهم شعت ونزلت من هذا المصدر النوراني المتلالىء إلى الأرض ، إذا أعطاها الله مجالا للعودة والاقتراب والاتصال بالمصدر الأساسي سوف يشتد وجودها وتتسع ظرفيتها لاقترابها من مصدر النور اكثر وكلما اقتربت أكثر كلما كانت اكثر نورانية وأخذت من خصائص هذا النور اكثر ، تأخذ من صفات هذا النور ، تأخذ علما وإدراكا ومعرفة وتواضعا ، هنالك يقول { سارعوا إلى مغفرة من ربكم }[٧٨] أولاً ضع رجلك على الصراط وبعد ذلك سارع ، إذا حدثت لك نية خيرة في طاعة الله أسرع في هذه النية ، لأن تأخير هذه النية يعني إهلاكها .

ومن يمتثل فله من الله ﴿ ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يعطيهم أكثر من استحقاقهم ، يزيدهم من فضله ﴿ ليجزيهم الله احسن ما عملوا ﴾ لو نظر كل إنسان إلى حياته سيجد أن هناك في حياته مقطع زماني يعتبره احسن حالاته وهؤلاء الذين يريدون أن يرجعوا إلى الله لا يجازيهم الله بأعمالهم ، لا انه ينسى بقية اعمالهم ويجزيهم على الاحسن

---

[٧٨] آل عمران - ١٣٣

وانما يقيس بقية الاعمال باحسن عمل جاء به في حياته حتى لو كان ركعتين ، حتى لو كان زيارة مؤمن ، أو لحظة تضرع محضة لله ، يترك الله باقي الأعمال ويأخذ هذا المقطع فقط ويجازيه بكرمه ، لأن الله يريد أن يرفعه ، لأن الله رفيع الدرجات ،ذو المعارج يطلب من الروح أن تعرج إليه، هذا ذو المعارج لا يحاسب الإنسان لا يفرش له سفرة أعماله ويحاسبه عليها عملا عملا ، بل يفرش سفرة أعماله ويختار أحسن عمل أحسن نية ، أحسن مرتبة وجودية ، أحسن حالة ويحاسب الإنسان عليها ويجازيه بها ، ليس هذا فقط بل الله يزيده من فضله لأنه ذو الفضل ، لأن فضله مطلق .

لماذا يكرمهم الله هذا الكرم ؟ما هو ملاك فضيلة هؤلاء ؟

ملاكهم أنهم لا يشغلهم شيء ليسوا عالة على الناس ولكن تجارتهم ومهامهم الحياتية لم تشغلهم عن ذكر الله ، عملهم ماهو إلا وسيلة وطريق لا يشغلهم عن هدفهم النهائي والحقيقي وهو القرب من الله وإقامة الصلاة ،لأنهم يخافون من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار ، لماذا القلوب والأبصار ؟

لأن الإنسان يستطيع أن يسيطر على جوارحه ولكن قلبه هل يستطيع أن يسيطر عليه فلا يتنقل من فكرة إلى أخرى ، من حال إلى حال ، ، هم يعتقدون أن قلوبهم ليست في أيديهم لأن من خواص يوم القيامة أن الإنسان ليست لديه القدرة فيه على السيطرة على قلبه ولو للحظة واحدة ، يتقلب من حال إلى حال من سوء إلى أسوئ من احتمال إلى احتمال لأنه ﴿ إذا هم بالساهرة ﴾[٧٩] الساهرة هي الأرض التي لا تجعل الإنسان يغفل عنها ولو لدقيقة لأنها مليئة بالديدان والحيات والعقارب ،كل إنسان في حالة رعب ، حتى

---

[٧٩] سورة النازعات - ١٤

البصيرة لا يستطيع الإنسان أن يحتفظ لنفسه بشيء ، خوفهم من هذا اليوم جعلهم مريدون مجدون لأن يتقربوا من مصدر النور هذا هو سبب الإذن لهم بالرجوع إلى المركز إلى نور السموات والأرض .

والجانب الأخر الذين يقابلون هؤلاء هم المنشغلون بكل شيء إلا الله ، كل شيء هالك وكل شيء وهم أن كان من دون الله ، سراب وخيال وآمال فارغة ﴿ أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ يخالون أنهم كسبوا كمالات ،هؤلاء ليسوا لم يعملوا ،هم عملوا ولكن أعمالهم لم تكامل إنسانيتهم ، عملهم سراب لا يشبع إنسانيتهم ، ولكن أي كمال وصلوا إليه هناك نكتة يذكرها شيخنا الاملي : لم يقول القرآن حتى إذا جاءه وجده لا شيء وإنما قال ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ ، هنا معنى دقيق في الآية ، يقول يوم القيامة جاء ليرى المسائل التي كان يتصور أنها كاملت إنسانيته ، لم يرى أنها لا شيء لأن ألا شيء لا يوجد و إنما لم يجده شيئا ، وذلك لأن لا شيء أمر عدمي وهو لا يوجد ولم ينته الأمر إلى أنه لم يجد شيئا بل وجد الله وجد المسئولية وجد الواقع ﴿ وجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾[٨٠] وجد الانتظار والمؤول وهو خالي اليدين ،ليست لديه سفرة أعمال يأخذ الله أحسنها ، لأنه لم تكن لديه نية للرجوع .

واسواء من هذا حتى يقابل مثال النورانية ثم يذكر مثالا أخر غير السراب ﴿ أو كظلمات في بحر لجي من فوقه سحاب من فوقه موج ﴾ أحيانا يقع الإنسان في بحر عميق لجي والسماء مملوء سحبا متراكم لا ينفذ منه شعاع من أشعة الشمس وهذا البحر متلاطم الأمواج ظلمات بعضها فوق بعض ليست ظلمة واحدة

---

[٨٠] سورة النور -٣٩

ظلمات ، يوميا لا يزداد إلا ظلمات هذا إذا اخرج يده ﴿ لم يكد يراها ﴾ أحاطت به أعماله وهو غارق مبتعد عن منبع النور ربه و كلما ابتعد عن الله وغرق في الماديات والطبيعة كلما كان هذا الغرق موج من فوقه موج ،لماذا ؟

لأنه ليس هناك غش عند الله ، الذي لم يجعل الله له من نور ، هذا النور يؤخذ من الله ، الذي يريد النور من الناس من الكماليات من المادة يريد أن يتكامل ، ليس له من نور ، من أين يأخذ النور ؟ أما نور فوق نور يتلألأ ويجزيك بأحسن ما تريد ، وإما عذاب ابدي مؤبد .

الخلاصة أن الإنسان بالمقدار الذي يستطيع أن يقترب من مصدر النور الذي هو الله ويطوي المسافات ويخترق الموانع يكون قريبا من مركز النور ، نور السموات والأرض الذي سيعطيه ويزيده من فضله ويزكيه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ﴾[٨١]، أما إذا غفل عن ذكر الله وغرق في الظلمات فسوف يكون وجوده بلا قيمه سلوكه كلما مشى في حياته أكثر كلما بعد عن المركز وهوى في الظلمات إذا القرب من الله رابط وجودي اختياري ، أما كيف يحدث ؟

---

[٨١] النور – ٢١

الطريق إلى القرب الإلهي

١.ملاك الخير في سلوك الإنسان أن يكون الخير موجب لحصول كمال نفسي للإنسان والروح .

٢.أن الكمال الذي يجب أن يصل إليه الإنسان هو في الحقيقة مرتبة من وجود النفس الذي عنوانه بالقرب من الله تعالى .

٣.أن حقيقة الروح هي هذا القرب إذا اقتربت الروح وحصلت على هذه المرتبة ، هذه المرتبة الواقعية والنورانية حقيقة الروح هي هذا القرب لا أن هذا القرب شيء يعطى للروح وإنما هي الروح بنفسها هذا القرب والتمكن والثبات في هذا القرب يعني حصول النفس على درجة من الكمال من القرب الإلهي ، وهذا القرب وأن كان عطية من الله إلا أن الطريق اختياري محض ، فالإنسان يختار أما الكمال وأما السقوط في الهاوية .

كيف يقطع الإنسان الطريق :

هل في القرآن طريق له معالم واضحة بحيث لو سلكه الإنسان واضعا برنامجا سلوكيا لحياته لاستطاع أن يقطع هذا الطريق ويطوي هذه المسافات ؟

﴿ يأيها الذين أمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ [٨٢]

في هذه الآية توضيح للبرنامج العملي الذي لو سلكته النفس لاستطاعت أن تصل إلى هذه الكمالات في صراط إلهي صحيح ليس فيه انحراف وليس فيه

---

[٨٢] سورة الحشر ١٨-١٩

التواء وليس فيه إلا كمال أثر كمال ، حتى لو أن النفس أخطأت فهي لا تخرج عن الصراط ، حتى إذا هوت هذه النفس فإن هذا الهوي ليس معناه الخروج الكلي عن الصراط ، معناه عدم سيرها الدائم في هذا الصراط وليس معناه الخروج .

هناك فرق بين الخروج عن الخط والرجوع قليلا إلى الوراء ، خاصية هذا السبيل أنه طالما الإنسان ناوي وقاصد ومريد وعازم على التوبة والإنابة والرجوع الاختياري الإرادي والخشوع الاختياري فالباب دائما مفتوح إذن أول خطوة للسير في هذا الطريق هي :

التوبة :

التوبة لا تعني الاستغفار ، عندما يقول الإنسان استغفر الله وأتوب إليه لا يشترط فيه أن يتوب ، التوبة هي رجوع النفس من بعض الرذائل وتركها ، فأول خطوة لقطع الطريق هي ترك الرذائل ومراقبة النفس في عملية الترك ، وبذلك يمكن للنفس بالتدريج أن تقطع هذا المجال ، وأوسع باب في الجنة هو باب التوبة ، لأن الإنسان مزدحم بالنقائص ، فيه نقص ومن حوله نقص وفي خارجه نقص ، ليست التوبة بالضرورة من الذنب التوبة هي الرجوع الاختياري لله تعالى ، هذا الانكسار الحاصل في النفس أمام الله تعالى يجمع النفس على الله عندما تجتمع هموم الإنسان وغمه وحزنه وطموحاته على مركز واحد فلا تتشتت كمالاتها طولا وعرضا وتتحد مع التوبة وهي احد المراتب سيما ونحن في هذا الشهر المبارك ، التوبة لله هي نورانية أولاً ﴿

ثم تاب الله عليهم ليتوبوا ﴾[٨٣]، التوبة ليست عملنا الله يلقيها في قلوبنا ، أولاً الله يتوب على الإنسان ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، أولاً يطهر الله الأرضية حتى تستطيع هذه الأرضية أن تستكمل .

هناك فرق بين الحركة التكوينية والحركة الجسدية الطبيعية ، الحركة التكوينية المتحرك والحركة والمسافة يولدها المتحرك ، النبات عندما ينمو حركته تكوينية ، بحركته يولد المسافة لأن حركته جوهرية تناسب نباتيته ، لأن له في الخارج مسافة يطويها ومسافة في الباطن تتفتح وبتفتحه ونموه يولد المسافه ، ليس هناك خط خارجي يسير عليه ، المسافة موجودة في داخله ، والإنسان بالاحكام الإلهية والعقائد والشرع والاخلاق والأعمال يولد حركته ، يولد المسافة ، يقول الأمير (ع) أنا الصراط المستقيم) عندما يكتمل في الإنسان الدين تحرك في كل مسافة من مسافات الدين ، أطاع الله بالقدر المفروض أن يطيعه ، جاء بالصلاة على أكمل وجه ، قام على خدمة المؤمنين ، جاء بالعفة على أكمل وجه ، يصبح هو الذي يولد الصراط وبحركته أوجده ، واصبح له ارتباط بهذا الصراط بمقدار ما عنده من عقائد .

﴿ يأيها الذين أمنوا أتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾[٨٤] نسيت الله فأنساك الله نفسك ، ليس نسيانك نفسك نتيجة نسيانك الله نسيانك نفسك بعدم التفاتك لسيرك هو بالضبط نسيانك لله .

---

[٨٣] سورة التوبة – ١١٨

[٨٤] سورة الحشر – ١٩

نسيان النفس في القرآن :

يتكلم القرآن عن نوعين من ذكر النفس ، الأول يكامل النفس ويوصلها لله تعالى ، والثاني يودي بالنفس ويجعلها في عداد المعرضين عن ذكر الله تعالى - بعض النفس يقول عنها ﴿ وطائفة قد أهمتهم انفسهم ﴾[٨٥] فلم يذهبوا للجهاد مع رسول الله (ص) ، أهتم بنفسه وعائلته ، بنفسه الحيوانية وانانيته ﴿ اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾[٨٦] وأمر الله الرسول (ص) ﴿ فأعرض عنهم ﴾[٨٧] يتحججون بأن ﴿ يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ﴾[٨٨] هذا النوع من الإهتمام بالنفس هو نسيان لله تعالى ، هذه مرتبة من النفس ذكرها يعني نسيان الله والإنشغال باشياء ليس لها معنى مما يوجب عدم الاقبال الفعلي على الله تعالى هؤلاء ﴿ فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾[٨٩] لأنهم ذكروا نفسهم الحيوانية كأنما هو مخلوق لهذه النفس ، دائما منشغل بالخارج في صلاته في دعائه في كل حال.

---

[٨٥] سورة آل عمران ١٥٤

[٨٦] المائدة - ٤١

[٨٧] سورة النساء - ٨١

[٨٨] سورة الأحزاب - ١٣

[٨٩] سورة التوبة - ٤٦

أثر الانشغال بالخارج في النفس :

عندما تذهب لمجلس من المجالس او تكون في زيارة وتسمع كلاما أي كان نوع هذا الكلام ، هل هذا الكلام عندما تسمعه وتقوم من المجلس تتركه هناك أم تحمله معك في داخل نفسك وتنشغل به ؟

نعم نحن نأخذ الكلام ونصبه في ارواحنا وحتى نتخلص من هذا الشَركِ يجب:

١. أن نوقف اسماعنا على العلم النافع لنا ، والذي يقف شيئا ليس له حق في استخدام هذا الشيء إلا لما وقف له ، عندما يوقف الإنسان مجاريه سمعه ونظره ولمسه وهي وسائل الالتقاط لديه على ما يرتفع بهذه النفس سوف يستطيع ان يحمي هذه المجاري من أن يقذف فيها ما يعيقها ، نحن نتكامل بجوارحنا وعندما لا تكون هذه الجوارح موقفة لما ينفع النفس ، عندما نأخذ القليل النافع ونمزجه مع الضار وندخله إلى ارواحنا لا نعلم ماذا ادخلنا في داخل هذه الروح ، كثير من خواطرنا نتيجة لأن سمعنا ليس وقفا لوجه ا لله بل نتيجة لأننا اوقفنا سمعنا لفلان وعلان ،.

إذن أول خطوه هي السيطرة على الحواس ، لا تدع للناس مجال أن ان تستنفذ جوارحك ، عندما توقف جوارحك فإن الله سيطهرك ، بالانقياد لله تتطهر ، اجبر نفسك على الانقياد لا تتكلم كثيرا كلاما ليس له معنى ، أنك عندما تتكلم لا ترمي الكلام في الهواء أنك ترميه في نفسك .

٢. راقب نفسك بدقة في حالة تلقيها للاشياء من الخارج حتى تعرف أين تجعل نفسك وتعرف ماذا ترسل لأخرتك ، الآية تقول في البداية ﴿ اتقوا الله ﴾ ثم ﴿ لتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ .

ماذا قدمت لغدك ؟

هل يستطيع احد أن يعرف ماذا قدم لأخرته ؟

يقول العلماء : معنى لتنظر نفس ما قدمت لغد مثل معنى أن تصف مجتهدا بقولك أنه نظر في احاديثنا ، الناظر في الحديث هو القادر على الخروج من الاحاديث بحكم أو بوجهة نظر صحيحة ، فيستطيع حل المتزاحمات والمتعارضة من الاحاديث ، كذلك هناك من الناس من يستطيع أن يرى نفسه ويعرف ماذا قدم لأنه لديه وجهة نظر واقعية حقيقية لما ارسله ، هو لا يستطيع أن يعدد جميع اعماله لأن هذا مستحيل ، لكنه استطاع ان يكشف نفسه فلا يدس عليها يعرف العمل الممزوج والمعاب والصالح ، عندما تعرف ماذا ارسلت تكون قد عرفت الله ، لأن من يعرف هذا ليس ناسيا لروحه ، ولا يكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم ، الذي لا ينظر في الحقيقة هو ليس ناسي لروحه ، هو يريد النورانية ولا يريد الله ، نسي أن هناك مركزا للنور وأن هناك شعاع نازل إلى هذه الأرض ممكن أن يرفعه هذا معناه أن ناسي لنفسه ليس ناسيا للنفس الحيوانية هذا النوع من النسيان مختلف عن ﴿ وطائفة قد اهمتهم أنفسهم ﴾ المقصود ان هناك كمال في نفسه هو ناسيه ، والانسان بشكل فطري يعلم أن هذا الكمال يتحصل فقط بالعبادة .

٣- بعد ذلك يحتاج الإنسان لقطع المسافات إلى شيئين :

- علم يقوي عقائده ويقذف في قلبه نورانية مما يؤدي إلى ثبات مركز الروح فيما تسمع.

- عمل صالح ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[10] هناك شيء يرتفع لله وهو الذات الطيبة ، الكلمة الطيبة نحن كلمات الله التامات والروح هي التي ترفع لله ولكن كي ترتفع الروح تحتاج إلى ارضية إلى عمل لم يبطله تغير النية ، تحتاج إلى ضبط النفس ، وعندما تضبط نفسك ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾[11] ابدأ بأن تصلي النوافل وبعد أن تنقاد نفسك ستصلي النوافل وانت تتحرك وأنت تعمل في الطريق ، أينما تولوا ليس هناك من حاجة ألى استقبال القبله .
- ضبط النفس يعني أن يتعرف الإنسان على ملكاته وبعض العيوب الراسخة فيه مثل أن يكون إنسانا كثير الكلام مثلاًأو أن يكون إنسانا متساهلا في أداء صلاة الصبح ، أو أنه ضعيف الهمة ، انه متعود على الاغتياب ، او على إضاعة الوقت أو قليل الطموح او من الناس الذين لا يهتمون بما يصيب المسلمين ، وغير ذلك ؟أول ما يجب عليك أن تفعل هو ؟أن تأتي بورقة وقلم وتكتب فيها نقاط ضعفك الكبيرة ثم بعد ذلك ﴿ سارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ سارع إلى اداء الواجبات الملقاة على عاتقك سر في طريق الاصلاح ، أما تزكية وإما تدسية .

إذن منشأ القرب الحقيقي هو الارتباط بالله هو توجه القلب ، كيف إنك في المسافات الظاهرية تتحرك لتقطع المسافات لتصل إلى مقصدك كذلك السير القلبي العمدة هو توجه القلب وتحركه هجران الضار المانع المزاحم ، حذف

---

[10] سورة فاطر-١٠

[11] سورة البقرة-١١٥

الزوائد ، ترك المحرمات . وكلما كانت فعالية القلب أشد فالأثر أكثر ومن جهة أخرى السير الإيجابي عبر الأعمال العبادية وأهمها الذي ربما يفهم من الراويات أنها متن الطريق هي الصلاة ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾[٩٢] .

الإنسان ذوا القلب الحي أكثر وعياً وعلماً وإدراكاً وأدق شعورا والتوجه فيه أقوى ليس الملاك العمل وإنما شدة التوجه ، التوجه هو الذي يدفع القلب ، الإدراكات ، الأحاسيس ، العواطف عندما تتمركز في نقطة واحدة حينها تكون المحبة والأنس أشد ، فالتوجه يوجب الأنس وازدياد المحبة ، والمحبة والأنس يوجب أنس القلب وجذبة ، وباعتبار أن التزكية بها جانبان إثباتي (التوجه) وسلبي (حذف الموانع) فالإنسان مع اختلاف الميولات التي يجب أن يركز سعيه على رفض الزوائد المعيقة ، والتي تجعل تحركه بطيئا أو قد تقطع عليه الطريق .

ومن جهة أخرى يقوى العوامل الاثباتية التي تساعد على الوصول للهدف وخير الطريق ، أو الطريق الوحيد ذكر الله بالقلب واللسان ، أول الطريق اللسان يحرك القلب فيتوجه القلب وفي وسط الطريق القلب يفرض على اللسان أن يتحرك لأنه أمير جنود الجسم والروح والنفس على أثر الأنس باللذائذ الروحية تتعدل كل قواها الخيرة وتقطع جذور العلاقات الضارة ، وهذه هي سعادة النفس وكمالها وخلاصها من النقص ، وقد افلح من زكاها.

انتهى بحمد الله

---

[٩٢] سورة طه - ١٤

شرح لبعض المصطلحات ورد على بعض الأسئلة

الجري ،والانطباق :

مصطلحان يردان كثيراً في كتاب تفسير الميزان ،ومعنى هذان المصطلحان مأخوذ من مفهوم روائي يقول أن القرآن يجري كما تجري الشمس أي أن هناك الكثير من مفاهيم القرآن صالحة للانطباق على اكثر من مصداق في اكثر من زمان ، مثل ﴿ هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾[٩٣] [٩٤]فسر ت الروايات هذه الآية عدة تفسيرات منها أنها تقصد انتصار النبي (ص) في المعارك ، ومنهم من يرى أنها تتحدث عن خروج الإمام المهدي (ع) ومنهم من يعتبرها من أحداث يوم القيامة،نلاحظ مما سبق ذكره أن كون المفهوم ينطبق على اكثر من مصداق فهذا لا يُذهب بكليته ،فمن الممكن أن يشمل غيره ،فالمعنى الكلي لا يزال موجوداً إنما نقول انه صار على الجري والانطباق وهذا اللفظ مستفاد من رواية عن الإمام أن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر

التقوى : فيها صيانة وإحاطة .

التزكية : فيها نمو .

الإرادة : ليست انفعال إنما هي فعل النفس ،فإذا علت النفس تتحرك إلى المراتب السفلى من خلال المرتبة العليا فتصبح اكثر وجوداً.

سعة الوجود : تعني أن الإنسان إذا اصبح اكثر وعياً وإدراكاً واكثر عملاً اتسع وجوده وارتفعت مرتبة هذا الوجود ،فإذا خالط الإنسان غيره ممن هم

---

[٩٣] البقرة-٢١٠

[٩٤] البقرة-آية٥٧

أقل مستوى منه إدراكاً ووعياً أحست نفسه بالضيق كالطائر إذا قيّد ووضع في قفص ، وفي الحياة قد يجد الإنسان أحيانا من يسفه له وعيه وإدراكه ويعاتبه على بعض اهتماماته كالاهتمام بشؤون المسلمين مما يزيد من شعوره بالضيق وهذا الشعور حقيقي ومحوس ومدرك له حقيقة واضحة ﴿افتمارونه على ما يرى ﴾[٦٥] كان بعض الناس يناقش النبي فيما يراه ويريد أن يحاج النبي (ص) ويخاصمه فيما يراه بوجدانه.

الوعي والعمل

وردت بعض الاسئلة من الاخوات الحاضرات للأخت أم عباس ذكرنا بعضها مع إجابة الأخت أم عباس عليها لأهميتها :

س : هل عمل الإنسان المكتسب يزيد في وعيه أم أن وعي الإنسان يزيد في عمله؟

الإجابة على السؤال تحتاج إلى أن نتطرق إلى شرح آيه سأذكرها بشكل مختصر ويرجى مراجعة شرحها في الميزان ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[٦٦] الآية تقول أن ما يصعد لله هي الذات الطيبة والذي يرفعها هو العمل الصالح والذي يرفع العمل الصالح هي النية والعلم الحسن ، عندما يعمل الإنسان العمل الصالح في الخارج ترتفع بهذا العمل روحه ، هناك أرضية وهناك شيء يرتفع ، الأرضية هي هذه الأعمال الصالحة ، أما الذي

---

[٦٥] سورة النجم - آية ١٢

[٦٦] سورة فاطر - ١٠

يرتفع فليس العمل ، ليست الحركات الحادثة في الخارج التي تنتهي بانتهاء العمل ، الذي يرتفع الكلمة الطيبة التي يقول الله عن عيسى (ع) ﴿ وكلمته ألقاها على مريم ﴾[٩٧] الذات الطيبة الصالحة ترتفع والعمل الصالح يهيئ هذه الأرضية ويرفع ،ويدفع ،ويحرك الروح عندما يحب الإنسان الله و أهل البيت (ع) هذا العمل يدفع الروح للإدراك اكثر والرفع والتوجه اكثر ، أما إذا لم يهيئ الإنسان هذه الأرضية فتبقى مجرد عقيدة ذهنية ، وما يحرك الإنسان ليس العقائد الذهنية ، وإلا فكلنا نؤمن بالله والملائكة وان الموت حق ولكن ذلك لم يجعلنا كلنا من الصالحين ، الصورة الروحية في داخل النفس هي التي ترتفع وهي امتزاج الروح بالعقيدة وليست هي العقيدة المجردة .

---

[٩٧] سورة النساء - ١٧١

الفهرس

النظرية الأخلاقية في القرآن ـــــــ ١

مقدمة الكتاب ـــــــ ١

إهداء ـــــــ ٣

مقدمة البحث ـــــــ ٤

طريقة البحث ـــــــ ٦

النظرية الأخلاقية وسورة الشمس ـــــــ ٨

قاعدة كلية : ـــــــ ٩

ما هو مفهوم الاختيار ؟ ـــــــ ١٠

أنت تزكي نفسك أم الله يزكيك ؟ ـــــــ ١١

ما لفرق بين الآيتين ؟ ـــــــ ١٢

ما هو الشيء الذي يحتاجه الإنسان كثيراً؟ ـــــــ ١٥

ثمرة التزكية: ـــــــ ١٧

قبول العمل الصالح ـــــــ ١٨

ما هي الشرائط الكلية التي تنطبق على كل الأعمال ؟ ـــــــ ١٩

١-إيجاد النفس: ـــــــ ٢٠

٢- التسوية: ـــــــ ٢٠

الإنسان والحيوانية : ـــــــ ٢١

الإلهام : ـــــــ ٢٢

٣- الاختيار: ٢٢
ما هو الارتباط بين الإلهام والاختيار ؟ ٢٢
وهناك معان أخرى للإلهام منها: ٢٦
المعنى الثاني المحتمل للإلهام : ٢٦
المعنى الثالث المحتمل للإلهام : ٢٦
وهنا نصل إلى نتيجة : ٢٨
الرسول (ص) والمؤمنين ٣١
١- حاجة النفس إلى معلم : ٣١
٢- العدالة الاجتماعية : ٣١
٣-الحاجة إلى المربي: ٣٢
اثر سماع القرآن في النفس : ٣٥
الفجور والتقوى ٣٨
ما معنى الفجور؟ ٣٨
لماذا لا نستطيع أن نتحد ؟. ٤٠
التقوى : ٤٠
ما الذي يؤدي إلى تفجر الغطاء الذي يحيط النفس ؟
ما هو اثر الاستغفار في ترميم ما فجرته الذنوب : ٤١
الخيالات السيئة والنفس: ٤٢
كيف يدس الإنسان الفجور داخل نفسه : ٤٣
ما هو ملاك الحسن والقبح الواقعي ؟ ٤٣
الدس : ٤٥

النفس والهوى: ٤٦
الكمال الإنساني: ٤٦
سعة الروح ٤٨
كل يعمل على شاكلته : ٤٩
من أين يكتسب العمل قيمته ؟ ٥٢
مثال النماء الصالح ٥٤
الأعراض عن ذكر الله والشعور بالضيق : ٥٧
ما هو الفؤاد ؟ ٥٨
معنى تقطع الأسباب : ٦٠
ماالنفس ؟ ٦٠
ما هو مطلوب الإنسان النهائي ؟ ٦٢
كيف يكون الإنسان إنسانا ٦٦
ملاك الحسن والقبح في العمل ٧٢
الفلاح : ٧٤
المسائل المادية وشعور الإنسان بالتلذذ بها : ٧٥
ميزان الفلاح وميزان التدسية : ٨٠
ارتباط بين الأعمال وآثارها ٨١
الدليل العقلي للارتباط : ٨١
أما الرابط المنطقي بين السعادة والكمال : ٨٢
المقدمة الثانية : ٨٢
الخلاصة : ٨٤

ما هو الميزان في معرفة الأعمال التي تؤدي إلى هذا الكمال ؟ ٨٥
ما هو الهدف الحقيقي ؟ ٨٦
القرب من الله ٨٧
معنى القرب الإلهي ٩٢
الخاصية الثانية لهؤلاء الناس : ٩٥
الطريق إلى القرب الإلهي ١٠٠
كيف يقطع الإنسان الطريق : ١٠٠
التوبة : ١٠١
نسيان النفس في القرآن : ١٠٢
أثر الانشغال بالخارج في النفس : ١٠٣
ماذا قدمت لغدك ؟ ١٠٥
شرح لبعض المصطلحات ورد على بعض الأسئلة ١٠٨
الوعي والعمل ١٠٩